الباب الثانى

أطوار المحاورات الأرسطية

تمهيد

كتب أرسطو عددا من المحاورات بلغت تسع عشر محاورة وذلك وفقا لتصنيف ديوجين لارتس ، وقد عرف العالم القديم أرسطو من خلال هذه المحاورات وكانت سببا فى شهرته ، وقد فقدت هذه المحاورات واندثرت ولم يعد أحد يهتم بها خاصة بعد الكشف عن مجموعة الكتب المذهبية أو ما يطلق عليها اسم الكتب المستورة . ومع ذلك فقد حفظت أجزاء أو فقرات من هذه المحاورات على شكل اقتباسات فى مؤلفات بعض الكتاب بما جعلها تظهر إلى النور من جديد . والحقيقة أنه وجدت شذرات من كل المحاورات تزداد قلة وكثرة حسب أهمية المحاورة أو اهتمام الكتاب القدامى ، وذلك باستثناء محاورة واحدة وهى محاورة مينكسينوس **Menexenus** التى لم يرد أى ذكر لمقتطفات منها أو نقولات عنها ، ومن ثم فإن عدد المحاورات التى سيتم مناقشتها فى هذا الباب ثمانى عشرة محاورة ، تبدأ الباحثة أولا بعرض نصوص الشذرات الباقية من كل محاورة وعقب ذلك تتناول البعض بالدراسة والتحليل ، وأحيانا المناسبة التى كتبت فيها المحاورة والتواريخ المحتملة لكل منها .

ونظرا لتباين موضوع هذه المحاورات وتميز بعضها عن البعض الآخر بالنضج الفكرى للكاتب وتمكنه من ناصية اللغة فقد تم تصنيفها إلى ثلاث مجموعات ، تمثل كل مجموعة منها مرحلة من مراحل التطور الفكرى والفلسفى لأرسطو . وعلى ذلك تم تقسيم هذا الباب إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول بعنوان : " محاورات طور التلمذة والتقليد " . ويتناول هذا الفصل المحاورات الى بدت للباحثة أنها كانت محاورات تدريبية ، الهدف من كتابتها فى المقام الأول هو إثبات قدرته على محاكاة أستاذه ، وإظهار تفوقه اللغوى والبلاغى ، بل ربما أيضا لإظهار تفوقه على أقرانه من أعضاء الأكاديمية ، وإحراز نصيب من الشهرة بالدفاع عن الأكاديمية ومنهجها . وهذه المحاورات هى : عن التعليم ، عن اللذة ، الشهوانى أو فيما يتعلق بالحب ، عن نبل المولد ، نيرنثوس ، إلى

الإسكندر ، عن الصلاة ، السوفسطائى ، عن الملكية ، المائدة ، جريللوس أو عن الخطابة ، عن الثروة ، عن العدالة ، رجل الدولة .

الفصل الثانى بعنوان : " محاورات طور النضج "

ويتناول هذا الفصل بالدراسة والتحليل ثلاث من المحاورات التى ترى فيها الباحثة أنها تمثل مرحلة جديدة من مراحل تطور أرسطو وفيها لم يعد التلميذ المؤمن بكل آراء أستاذه وإنما بدأ على استحياء فى إظهار آرائه الشخصية التى لم تعد مطابقة تماما لآراء أستاذه . وهذه المحاورات الثلاث: هى عن الشعراء، يوديموس أو عن الروح ، ودعوة للفلسفة أو البروبتكيوس .

الفصل الثالث بعنوان : " محاورة طور الاستقلال والتجديد تناولت فيه الباحثة بالدراسة والتحليل محاورة عن الفلسفة وهى المحاورة التى وصل فيها أرسطو إلى قمة نضوجه الفكرى والفلسفى ، وصارت له فلسفة خاصة وفكر مستقل ، ولم يتحرج أرسطو فى هذه المحاورة أن يعلن عن عدم موافقته عن بعض نظريات أستاذه .

الفصل الأول

محاورات طور التلمذة والتقليد

المحاورات

أولا : فى التعليم	On Education
ثانيا : المائدة	Symposium
ثالثا : فى الثروة	On Wealth
رابعا : فى العدالة	On Justice
خامسا : فى اللذة	In Pleasure
سادسا : الشهوانى	Erotics
سابعا : فى نبل المولد	On Noble Birth
ثامنا : نيرنثوس	Nerinthus
تاسعا : السوفسطائى	Sophistes
عاشرا : فى الصلاة	On Prayer
حادى عشر : جريللوس – أو فى الخطابة	Gryllus, or On Rhetoric
ثانى عشر : رجل الدولة	Statesmanor Politicus

أولا : فى التعليم

On Education

فى التعليم On Education

هذه المحاورة لم يبق منها غير ثلاث شذرات قصيرة نسبيا ، وقد أوردهـا كـل مـن روس وكروست نقلا عن فلوتارخس وديوجين لارتس وأثينايوس [1]. وقد كتبها أرسطو أثناء اقامتـه فـى الأكاديمية حيث تُظهر بوضوح أنه كان متأثرا بمحاورتى أفلاطون ثياتيتوس والجمهوريـة [2]. فقـد تزامن فراغ أفلاطون من كتابتهما مع دخول أرسطو الأكاديمية، وهما مـن مجموعـة محـاورات الكهولة لأفلاطون حيث يختلفان بوضوح عن المحاورات المبكرة فى الشـكل والمضـمون، وكانتـا تبشران بتحول الاهتمامات الأساسية لفلسفة أفلاطون إلى المنهجية والتحليل والدراسات التجريدية . أما الشذرات الباقية من محاورة عن التعليم على النحو التإلى :

- ١ -

كان فلورس **Florus** مفعما بالمشكلات ، وقد اعتاد أن يشاركه أصحابه فى مشاكله مقـدما شهادة على مقولة أرسطو بأن كثرة التعليم تسبب الكثير من المشاكل [3].

---

[1] Ross, The Works of Aristotle, 12,64,And See Also: Chroust,II,Aristotle, P.18.

[2] Ferguson, , Aristolte, P.24;And See Also: Chroust, Op.Cit, II,PP.18,19.

[3] Ross, Op.Cit, 12,P.64; And See Also: Chroust, Op.Cit , II,P.18.

بينما جرى النص عند فلوتارخ ، على النحو التإلى :

أن فلورس الذى كان مشغولا بقراءة نسخة من كتاب أرسطو المشكلات العلمية التى أحضرها إلى ثرموبلاء ؛ كان هو نفسه مفعما بالسـؤلات طبقا لما فطرت عليه الروح الفلسفية . وكان يشرك أصحابه فى ذلك مؤكدا على مقوله أرسطو بأن المعلم العظيم يمنح الكثير من نقـاط البـدء والانطلاق .

Florus, Who was engaged in reading a copy of Aristotle 's scientifice Problems that had been brought to Thermopylae was himself full of questions. As is natural for a philosophical spirit, and shared them with his friends too, priving Aristotle's own statement that " great Learning gives many start ingpoints .See: Platarch, Moralia, IX,PP.203,205.

كان بروتاجوراس Praotagoras أول من اكتشف ما يسمى " بالعقدة " التى يحمل عليها االحمالون أحمالهم . هكذا يقول أرسطو فى عمله عن التعليم ، ذلك لأن بروتاجوراس كان يعمل حمالا، كما يقول أبيقور أيضا فى موضع آخر وقد ظل الأمر على ذلك إلى أن جذب بروتاجوراس انتباه ديموقريطس الذى رأى كيف أنه قد حزم عيدان الخشب [١].

وفى الموضوع نفسه يقول أبيقور أيضا إن بروتاجوراس السوفسطائى بعد أن كان بوابا وحمالا للخشب صار سكرتيرا خاصا لديموقريطس ، ،لأن هذا الأخير قد انتبه إلى الطريقة الغريبة التى يحزم بها الخشب فمنحه البداية الأولى بأن تبناه في منزله . وبعد ذلك تعلم القراءة والكتابة فى إحدى القرى البعيدة ثم اتجه إلى السفسطة [٢].

ويتضح من هذا النص السابق أن الشذرة الأولى تبدأ بعبارة : فلورس قد انتابه مشكلات عديدة ، نقلها إلى أصدقائه . أما الشذرة الثانية فإنها تحتوى على معلومات تفيد بأن بروتاجوراس قد تعلم من طريقة حمل الحمالين لأحمالهم أن ترتيب الأشياء المتماثلة يسهل من حملها . هذا ما يؤكد عليه أرسطو فى محاورته عن التعليم . لقد كان بروتاجوراس فى الأصل حمالا وهذا ما يوضحه أبيقور فى إحدى رسائله ، وهذا يوضح أيضا لماذا أثار بروتاجوراس انتباه ديموقريطس الذى اعجب بمهارته فى ترتيب حزمة الأخشاب وربطها [٣]

ويبدو أن أرسطو فى محاورته عن التعليم قد خلص إلى أن التراكم العشوائى غير المنظم للمعلومات الذى يتم دون تدريب فكرى صحيح قد يحدث ارتباكا وتشوشا ؛ ولذلك فإن هذا التعليم قد يصبح عبئا لا يمكن تحمله وهذا أمر خطير [٤].

---

[١] Ross, The Works of Aristotle, 12, P.64; And See Also : Chroust, Aristotle, II,P.18.

[٢] Athenaeus, The Deipnsophists, IV,P.105.

[٣] Chroust, Aristotle, II,P.18.

[٤] Ibid., P.18.

وفى الموضوع نفسه ذكر أثينايوس أن بروتاجوراس السوفسطائى كان فى الأساس حارسا وحمالا للخشب وأنه جذب انتباه ديموقريطس بالطريقة التى كان يحمل بها الخشب فعينه سكرتيرا خاصا له ومنحه العديد من المزايا فتعلم القراءة والكتابة ثم اتجه للسفسطة [1].

وفى هذه المحاورة نجد أن أرسطو قد تأثر إلى حد كبير بمحاورتى أفلاطون ثياتيتوس والجمهورية فقد جاء فى محاورة ثياتيتوس أن محادثة دارت بين سقراط وثياتيتوس ويقول له سقراط : هل تستطيع أن ترددها على مسمعى ؟ فيرد إقليدس: لا ليس بطريقة مرتجلة ، غير أننى دونت ملاحظات عنها وكنت أسأل سقراط بشأن كل نقطة أساسية نسيتها وأصححها وذلك لأنه بارع فى علم الهندسة بالحكمة يكون الحكماء خكماء . ويرى سقراط أن العلوم التى تعلمناها من ثيودورس كعلم الهندسة وكل العلوم الأخرى بما فيها علم فن الإسكافية والصناعات والحرف اليدوية الأخرى . كل هذه العلوم هى معرفة [2].

وفى موضع آخر يسأل سقراط ثياتيتوس ماهى المعرفة ؟

يقول ثياتيتوس : إن المعرفة هى إدراك حسى ، وإن هذا القول لبروتاجوراس إلى الذى (أن الإنسان مقياس كل شىء)، إنه مقياس لوجود الأشياء التى لا تكون) . كما يرد عليهم بروتاجوراس أننا عندما نقارن ست مكعبات بأربعة ، نقول إنها أكثر مرة ونصف مثل ذلك العدد. وعندما نقارنها باثنى عشر مكعبا فإنها تكون أقل وانها نصف ذلك العدد ، وأية طريقة أخرى للكلام غير مقبولة [3].

وربما يعود أصل تسمية هذه المحاورة بالتعليم حيث إن محاورة أفلاطون بروتاجوراس تقول أنه قدم إلى أثينا حاملا لواء العلم والتعليم ، وأنه يعلم علم أو معرفة الحياة الإنسانية [4].

---

[1] Athenaeus, The Diepnosophists, IV,P.105.

[2] أفلاطون ، محاورة ثياتيتوس ، المحاورات الكاملة ، حـ٥ ؛ ترجمه شوقى داود تمراز ، ص١٠٥، ١٠٤ .

[3] نفس المصدر ، ص١٢٤، ١٢٣.

[4] أفلاطون ، المحاورة الكاملة ، حـ٣؛ محاورة برتاجوراس ؛ ص٤٠، ٣٤، ٣١ .

أما فى محاورة الجمهورية فيتحدث أفلاطون فى الكتابين الثانى والرابع عن تعليم النشء عن طريق المشاهدة والاستفادة من خبرات الغير[1] .

وهكذا نجد أن أفلاطون فى هذه المحاورات يثنى على المميزات التى لا يمكن إخفاؤها للتفكير العلمى أو الفلسفى على التراكم المجرد للمقتطفات المنفصلة للمعلومات أو التعددية الثقافية فى المعرفة . بينما نجد أن أرسطو فى محاورة عن التعليم يشدد على الفروق الحاسمة التى توجد بين الجوانب الكمية والطيفية للمعرفة البشرية مؤيدا سمو التعبير التجريدى والتعميم الفلسفى بشأن الحقائق المادية المتفرقة تمشيا مع اهتمامه المشهود بالحقائق التجريبية والتاريخية [2].

ويركز أرسطو فى محاورة عن التعليم على أنه إذا تم التوظيف الجيد للمشاهدة العلمية فإن النتائج تكون جيدة ، وأننا ربما نتعلم درسا عظيما من ملاحظة أو مشاهدة كيف تتم أمور معينة . ولذلك فالتعليم الحقيقى يشمل كل من الدراسة النظرية أو البحث والتجربة العملية . والأهم من ذلك أنه من الممكن أن يكون قد حاول نقل تصوره أننا بوسعنا أن نتعلم شيئا ما حتى من أقل رفقائنا تواضعا أو من أكثر الأحداث اليومية بساطة . ويؤكد أيضا على أن محاورة فى التعليم هى بالفعل منهج أخلاقى سياسى وأن المشاهدة عنصر أساسى فى التعليم وأنه يجب الاستفادة من خبرات الآخرين [3].

ويمكن التأريخ لهذه المحاورة ما بين سنتى ٣٦٦،٣٦٥ ق.م فى بداية التحاق أرسطو بأكاديمية أفلاطون حيث كان قد انتهى لتوه من كتابة محاورة ثياتيتوس التى تأثر بها أرسطو فى محاورته عن التعليم [4].

---

[1] أفلاطون ، المحاورات ، جـ١ الجمهورية ، ص٦٨،ص١٧٨.

[2] Chroust, Aristotle, II,P.18.

[3] Ibid., II,P.19.

[4] Jaeger, Aristotle, P.25.

ثانيا : المائدة

Symposium

المائدة Symposium

تبق من هذه المحاورة عدد لا بأس به من الشذرات حفظها جماعة من الكتاب منهم فلوتارخ وأثينايوس وفيلون ونقلها عنهم روس الذى قدم لهذه الشذرات بفقرتين من فلوتارخ وماكروبيوس:

أ – لكى ننسى تماما ما قد قيل وما تم فعله فى الخمر فإن التعارض لن يكون فقط معه الميول العامة للمائدة التى تعزز الصداقة ، ولكن أيضا بعد أن تكون لدينا شهادة معظم الفلاسفة المشهورين ضدها – أفلاطون ، اكزينوفون ، أرسطو ، وسيبوسيبوس وأبيقور وديون الأكاديمى الذين رأوا أن الأمر يستحق بعض المشقة لتسجيل الأقوال التى قيلت على مائدة الخمر [١] .

ب – إننى أنصحكم فى مآدبكم إما أن تطرحوا للبحث أو أن تحلوا بأنفسكم التساؤلات التى تتناسب مع المناسبة . وكان هذا النوع من الأمور أبعد ما يكون أن يفكر فيه القدماء بسخرية ؛ حتى أن كل من أرسطو وفلوتارخ وأبيوليوس قد كتبوا كثيرا فى هذه الموضوعات [٢].

– ١ –

إن هوميروس الدقيق جدا فى كل الأمور ، لم يغفل حتى هذ الأشياء البسيطة ، بأنه يجب علينا أن نعتنى بأجسادنا وننظفها قبل الذهاب إلى الولائم . وعلى الأقل فإنه يقول عن أودسيوس ، إنه قبل التوجه إلى الوليمة فى بلاط فوكيا ؛ طلبت منه مدبرة القصر أن يستحم فى الحال[٣] . وقال عن رفاق تليماخوس أنهم ذهبوا إلى الحمامات اللامعة واستحموا [٤]، لأنه من غير اللائق كما يقول أرسطو أن تذهب إلى حفل شراب وأنت مبلل بالعرق المختلط بالتراب . إن الإنسان ذو الذوق الرفيع مثلما يقول هيراقليتوس ، يجب ألا يكون على هيئة قذرة أو غير نظيف أو يجد المتعة فى الرذائل [٥].

---

[١] Plutarch, Moralia,, VIII, P.7;And See Also: Ross, The Works of Aristotle , XII, P.8 .

[٢] Ross, Op.Cit, XII, P.8 .

[٣] Homer, The Odyssey , translated , A.T. Murray,Harvard University Press , London 1984, I, P.291 .

[٤] Ibid. , I,P.109.

[٥] Athenaeu, The Deipnosophist, II, P.325;And See Also: Ross , Op.Cit , XII, P.8 .

- ٢ -

تدعو سافو Sappho أولئك الذين يقدمون الأضاحى أن يكونوا متوجين بالإكليل ؛ لأن ذلك أكثر بهجة وإسعادا للآلهة . وقال أرسطو فى محاورة المأدبة يجب ألا نقدم شيئا مشوها للآلهة، ولكن نقدم الأشياء التامة والكاملة ؛ لأن ماهو تام يكون كاملا ؛ لأن تتويج الإنسان لنفسه يدل على الكمال . يقول هومر : توج الشباب الطاسات بالخمر[١] ، وأن الإله يتوج جماله بالكلمات[٢]. ويعنى أن أولئك أصحاب المظهر المتشوه فإنهم يتجملون بسحر الحديث . هذا إذا هو المعنى الذى يبدو للإكليل. ولذلك ففى مناسبات الحزن نقوم بترتيب الأشياء بالأسلوب المضاد ؛ وفى المشاركة فى الشعور تجاه المتوفى فإننا نشوه أنفسنا بحلق شعورنا وأن نتخلى عن أكاليلنا[٣].

- ٣ -

يقول سيلوكوس إن العادة القديمة عدم تناول الخمر فوق المعتاد أو الاستمتاع بنعيم الحياة إلا على شرف الآلهة . وأنهم لهذا السبب استخدموا كلمات " مهرجان " ، " وليمة " ، " وثمالة" ؛ الأولى : لأنهم كانوا يعتقدون أنه ينبغى علينا أن نشرب الخمر على شرف الآلهة ، الثانية: لأنه على شرف الآلهة عليهم أن يتجمعوا ويأتوا سويا (هذا ما تعنيه عبارة هومر وليمة فخمة[٤]) بينما يقول أرسطو إن الثمالة تسمى هكذا لأنها تناول الخمر بعد تقديم القرابين للآلهة[٥].

إن ما قاله المشرع عن الثمالة سنراه لاحقا بإيجاز ، دعنا الآن نتفحص ما اعتقده الآخرون. لقد نالت المسألة جدلا كثيرا من الفلاسفة ، وهذا ما تم طرحه . هل يمثل الرجل الحكيم ؟ أن تصير

---

[١] يقول هومر أن النساء ملأوا أقداحهم بالخمر حتى فاضت وقدموها للجميع ، وكانوا فى البداية قد سكبوا قطرات البيذ فى القداح اكداما للإله.
Homer, The Iliad, translated by , A.T.Murray, London, 1988, I,P.39.

[٢] Homer, The Odyssey, I,P.271.

[٣] Ross, The Works of Aristotle, XII, P.9 .

[٤] Homer, Odyssey, I,P.99.

[٥] Athenaeus, The Deipnophist, I,P.175.And See Also: Ross, The Works of Aristotle, XII, P.9

ثملا لها معنيان ؛ المعنى الأول يماثل أن تكون مخمورا (ثملا) ؛ والثانى أن تكون سفيها عندما تكون مخمورا . وقال بعض الذين واجهوا المشكلة أن الإنسان الحكيم لن يفرط فى احتساء مشروب قوى ولن يصل إلى حد الهذيان .. وأعلن الآخرون أنه قد يكون من اللائق أن يثمل الإنسان الجيد ولكن ليس لائقا أن يصل إلى درجة الهذيان ... إن القدماء لم يطلقوا عليه أيضا مشروبا روحيا وفى كل الأحوال فإن الاسم غالبا ما يستخدم فى الشعر . ومن ثم فإذا كان المراد فان (خمر ومشروب روحى) هما إسمان لشىء واحد فإن الكلمات المشتقة منهما (الثمالة من الخمر أو الثمالة من المشروب الروحى) ستختلف فى النطق فقط .. وإذا كان الإنسان الجيد سيكون مخمورا فإنه أيضا سيكون ثملا .. لقد ذكرنا مناقشة واحدة لكى نوضح أن الإنسان الحكيم قد يصل إلى حد الثمالة. الثانية كما يلى .. أن هدفى أن أبين أن الناس لا يتناولون المشروب القوى بالطريقة التى كان يتناولها الأقدمون .. فقد كان آباؤنا يبدأون كل عمل حميد بطقوس مقدسة ، معتقدين أنه بذلك ستكون نتيجة أفعالهم أكثر ملاءمة ؛ لأنهم قد بدأوا بالصلاة وتقديم القرابين ؛ وحتى إذا كانت الحاجة للفعل ملحة ، فإنهم ينتظرون لاعتقادهم أن المزيد من التعجل يكون أحيانا أقل سرعة . وكانوا يرون أن السرعة ضارة عندما تكون بلا بصيرة . بينما التمهل مع الأمل الجيد فى المستقبل يكون أكثر نفعا . إنهم يعرفون إذا أن الاستمتاع بالخمر واستخدامه يحتاج عناية فائقة ، إنهم لا يتناولون مشروبا قويا فى أى وقت حتى الارتواء ، ولكن بأسلوب مناسب وفى الوقت المناسب إنهم أولا يصلون ويقدمون القرابين ويسترضون القوى الإلهية ويطهرون أجسادهم وأرواحهم ، الأولى بالاستحمام والثانية بتيارات القوانين والتعليم السليم ، ومن ثم يصيرون فرحين ومبتهجين فى أسلوب حياة أكثر طمأنينة وهدوء ، وهم غالبا لا يعودون إلى بيوتهم ولكنهم يستمرون فى المعابد التى قدموا فيها القرابين ، ولذلك يتذكرون القرابين ويبجلون المكان وقد يقيمون الوليمة بالطريقة التى تتناسب جيدا مع قدسية المكان ، لا يخطئون أبدا بالقول ولا بالفعل . ومن ذلك بالتأكيد أنهم يقولون إن الثمالة اشتقت اسمها بسبب عادة آبائنا فى تناول الخمر بعد القربان . فمع من إذا تكون الطريقة التى وصفناها لاستخدام المشروب القوى أكثر ملائمة منها للرجل العاقل ، الذى يناسبه أيضا القربان الذى سبق تناول الخمور ؟ قد نقول إذا أنه لا يوجد إنسان سيء يؤدى الطقوس الدينية ، حتى ولو كان

يحضر يوميا وبلا توقف عشرة آلاف ثور إلى المذبح ، لأن فكره مشوه وأن من أشد شروط تقديم القرابين صرامة أنه لا يجوز للأشخاص المعيبين أن يقتربوا من المذبح . هذه هى المناقشة الثانية ... تعتمد الثالثة على تخمين مختلف فى اشتقاق الكلمات . يعتقد بعض الناس أن الثمالة تسمى هكذا ليس فقط بسبب أنها تتحقق بعد القربان ولكن لأنها تسبب استرخاء الروح .والآن عندما يسترخى تفكير الأحمق فإن ذلك يؤدى إلى تقوية الكثير من الأخطاء ، ولكن عندما يسترخى تفكير العاقل (الحكيم) فإنه يؤدى إلىالاستمتاع بالاسترخاء والسرور والبهجة . ولأن الإنسان العاقل الذى قد تناول الخمر يصبح مزاجه ألطف عما يكون فى حالة الرزانة . فإننا ينبغى ألا نخطأ بالقول إنه سيصير ثملا [١].

- ٤ -

يقول أرسطو فى كتابه عن الثمالة أن اندرون الأرجوسى على الرغم من أنه قد أكل العديد من الأطعمة المملحة والجافة فقد ظل طوال حياته دون ظمأ ودون أن يشرب . فضلا عن ذلك فقد سافر مرتين إلى آمون عبرالصحراء ، يأكل الشعير المجروش ولم يتناول أية سوائل [٢].

- ٥ -

إن أرسطو فىكتابه عن الثمالة يسميهم كما نسميهم نحن موائد ثانية بهذه الكلمات : يجب علينا أن نراعى أن المُسكِّرات تختلف تماما عن الطعام بنفس قدر اختلاف مادة قابلة للأكل عن السوكت (الاسم اليونانى القديم للمُسكِّرات عندما تقدم كحلويات) ، ولذلك يبدو أن أول شخص تحدث عن " الموائد الثانية " كان صائبا فى رأيه ؛ لأن تناول الحلوى نوع من الغذاء الإضافى وأن اطباق الحلوى تمثل وجبة ثانية [٣].

---

[١] Ross, The Works of Aristotle, XII, PP.9-11 .

[٢] Ibid., XII, P.11 .

[٣] Athenaeus, The Deipnosophist, VI, P.463 .

يقول أرسطو فى كتابه عن الثمالة إن المسكرات (الحلويات) كان يسميها أسلافنا سوكيت، وكانت نوعا من الوجبات الإضافية [1].

- ٦ -

إن التين ليس حلو المذاق فقط ولكنه أيضا أصلح للهضم . انه مفيد جدا للجنس البشرى حتى أن أرسطو أسماه ترياق لكل سم ، ويقول أنه ليس لهذا السبب فقط يقدم فىالوجبات كحلوى وفاتح للشهية . كما لو كان قد تم لفه حول اضرار الطعام كأفضلية له على أى ترياق مقدس آخر . والحقيقة فلأن التين مخصص للآلهة فإنه يوضع علىالمذبح فى كل قربان وأنه كبخور أفضل من أى نوع من اللبان والبخور ، وهذا ليس حكمى فقط ، فكل إنسان قد خبر استخدامه يعلم أن هذا حكم أى إنسان حكيم متمرس فى الطقوس الدينية [2] .

- ٧ -

كما يقول أرسطو فى كتابه عن الثمالة هؤلاء الذين يحتسون شراب الشعير المسمى بيرة يسقطون على ظهورهم ؛ وقال إن السائل المقطر من الشعير يسمى بيرة له خصوصية يتميز بها لأن الذين يثملون من الخمور الأخرى يتساقطون فى كل الاتجاهات - إلى الشمال ، إلى اليمين، على وجوههم ، وعلى ظهورهم أما أولئك الذين يثملون بالبيرة دائما ما يتساقطون للخلف ويرقدون على ظهورهم .[3]

- ٨ -

يقول أرسطو فى كتابه عن الثمالة إذا تناقصت كمية الخمر بالتسخين إلى قدر معتدل فإنها تكون أقل فى ثمالتها ، ويقول إن قوة المشروب الكحولى تضعف بتعرضه للغليان . وأضاف أن المسنين يسكرون أكثر سرعة نتيجة لندرة الحرارة الطبيعية فى أجسامهم وضعفها ، وكذلك الذين فى

---

[1] Athenaeus, The Deipnosophist, Vi, P.461 ; And See Also: Ross, The Workks of Aristotle, XII, P.12 .

[2] Ross, Op.Cit, XII, p.12.

[3] Athenaeus, Op.Cit, IV, PP.525,527; And See Also: Ross , Op.Cit, XII, PP.12,13 .

سن الحداثة يسكرون بسرعة كبيرة بسبب وفرة الحرارة الطبيعية ، فإنهم ينهكون بسهولة بسبب الحرارة المضافة من الخمر . ومن الحيوانات الأعجمية تسكر الخنازير إذا أطعمت بكميات كبيرة من العنب المعصور ، والغربان السود والكلاب إذا أكلت نبات الخمر (Wine Plant) والقردة والأفيال إذا شربت الخمر . وهذا هو السبب فى أنهم يمسكون القرود والغربان فيسكرون القرود بالخمر والغربان بنبات الخمر [١].

- ٩ -

اندهش فلورسن من حقيقة أن أرسطو الذى كتب فى كتابه عن الثمالة بأن الثمالة تجعل الرجال المسنين يترنحون بسهولة أكثر ، والنساء بسهولة أقل ، ولم يبين السبب ، وهو أمر لم يكن من عادته أن يهمل مثل هذه الأمور [٢].

- ١٠ -

ان الكأس التى تسمى ساما جوريون Samagoreion التى تتكون من ثلاثة بنبات [٣] ممزوجة جيدا تشمل أكثر من أربعين رجلا ؛ حسب قول أرسطو [٤].

- ١١ -

يقول أرسطو فى كتابه عن الثمالة تقدم الكؤوس الروديسية (المشروبات الروديسية) فى حفلات الشراب بسبب مذاقها الطيب ، وإذا تم تسخينها فإنها تجعل الخمر أقل ثمالة . ويتم تصنيعها بوضع اللبان والأسل العطرى وبعض التوابل الأخرى فى ماء يغلى ، وعندما يتم إضافة هذا السائل إلى الخمر يتأثر الشاربون بثمالة أقل .ويقول فى موضع آخر : تعد القداح الروديسية بوضع اللبان والأسل العطرى والينسون والزعفران والبلسم والحبهان والقرفة فى ماء مغلى .و عند صب

---

[١] Athenaeus,Op.Cit, IV, P.447; And See Also:Ross , Op.Cit, XII, P.13 .

[٢] Plutarch, Moralla, VIII, P.227.

[٣] السنت . مكيال للسوائل يساوى ٠,٥٦٨ من اللتر .

[٤] Athenaeus, Op.Cit, IV,P.447.

المشروب المصنوع من هذه المكونات إلىالخمر فإنه يحد من ثمالتها ، وكذلك فإنه يحد أيضا من رغبة الناس فىالمعاشرة الجنسية ، بتهدئة نفوسهم [1].

- ١٢ -

أريد أن أعرف ما الذى جعلك ترتاب فىأن الخمر باردة

أجبت : أتعتقد حقيقة أن هذه نظريتى ؟

فقال : من غيرك ؟

أجبت : أنى أتذكر لقد دنوت من مناقشة أرسطو لهذه المشكلة ، ليس من فترة قريبة العهد ولكن منذ فترة طويلة إلى حد ما [2].

من هذا النص السابق يمكننا القول إن المائدة لعبت دورا مهما وبارزا فىحياة اليونانيين القدماء وحرص كثير من الكتاب والفلاسفة على الكتابة عن الولائم ومجالس الشراب ، فقد وضع أيزوقراط وأفلاطون وكذلك أرسطو آدابا معينة لاتباعها أثناء المشاركة فىالمأدبة على أن يكون المشارك نظيفا فى بدنه وثيابه بل ربما وصل الأمر إلى ضرورة الاستحمام قبل الانضمام إلى الجالسين علىالمائدة .

وقد اشتقت هذه المحاورة من محاورة أفلاطون التى تحمل الاسم نفسه ولكن الموضوع يختلف ، فبينما حدد أفلاطون معنى الحب الحقيقى واسراره ليكون موضوعا لمحاوراته فإن أرسطو يتناول فى محاورته المائدة نفسها وآدابها وتأثير الخمر على الشاربين . على أية حال لقد كانت هناك قواعد وأصول للمائدة وضعها اكسينوقراط للأكاديمية ثم قام أرسطو بوضعها مرة ثانية [3] . وقد بلغ من أهمية المائدة أن الدولة كانت تتولى بكل عناية إدارة قاعات الطعام فى اسبرطة وفى كريت حتى قال البعض إن صداقة الزملاء يجب ألا تنقطع طويلا عن المائدة ؛ لأنها أجمل وسيلة

---

[1] Athenaeus,Op.Cit, V, P.25. And See Also: Ross , The Works of Aristotle, XII, P.14.

[2] Plutarch, Moralla, VIII,P.237.

[3] Athenaeus, Op.Cit, II, P.323 .

لكى يتذكر أحدهما الآخر [1]. أو كما قيل بأنها تعزز المودة [2].وكان متبعا فىأكاديمية أفلاطون تقديم القرابين للآلهة فىالمناسبات الدينية ، وكان أفلاطون وسبيسيبوس يشاركان الجموع هذه الاحتفالات ليس حبا فى الإفراط فى شرب الخمر حتى الفجر كما معتاد فى هذه المناسبات ولكن من أجل تشريف الآلهة والاستمتاع بصحبة بعضهما ، ولإنعاش نفسيهما بالمناقشة والحوار [3] .

وقد وظف أرسطو المائدة توظيفا سياسيا لكى يبين أن السلطة الجماعية خير من السلطة الفردية علىاعتبار أن مجموع الفضائل فى الجماعة أكثر مجموع الفضائل فى فرد واحد وقد أعطى المثال على ذلك بأن المآدب التى يشترك فى إيلامها أشخاص كثيرون أفخر من التى يأدبها شخص واحد ؛لأن الجماعة على كثرتها قد تحوى فى كل أفرادها شطرا من الفضيلة والذكاء . ومن ائتلاف هؤلاء الأفراد قد تضحى كرجل واحد .. وتتوفر له كذلك الأخلاق الطيبة والمدارك [4].وفى السياق نفسه عندما يدلل على أن حكم الجماعة الفاضلة خير من حكم الرجل الفاضل يقول : ألا إن الدولة تتألف من أفراد كثيرين . كما أن المأدبة الملونة المتناهد فيها ، أفخر من المأدبة البسيطة التى تنطوى على لون واحد من الطعام [5].

لم يكن نظام المائدة المتبع فىالمجتمع الأثينى نظاما خاصا أو عادة قائمة بين الأفراد فقط ولكن اتضح أنه كانت هناك موائد عامة أو موائد شعبية ، وعُدّت هذه الموائد مؤسسة من مؤسسات الدولة وذلك حسبما جاء فى القوانين لأفلاطون " ذلك أننى سألح على أن رجالنا المتزوجين حديثا سوف يترددون على الموائد العامة كترددهم عليها فى سنوات ما قبل الزواج وليس أقل ولا أكثر"[6].

وقد قارن أفلاطون بين موائد العامة وما يسودها من صخب وضجيج وحرص روادها على المتعة الحسية فقط ، وبين موائد الخاصة والسلوك الراقى لروادها وحرصهم علىالاستمتاع بأحاديث

---

[1] Athenaeus, The Deipnosophist, II, P.323 .

[2] Plutarch, Morallia, VIII, P.7.

[3] Guthrie, Greek Philosophy, IV, P.21.

[4] أرسطو ، السياسيات ، ص ١٤٤، ١٤٥.

[5] أرسطو ، السياسيات ، ص ١٦٥ .

[6] أفلاطون ، القوانين ، نقله إلى العربية محمد حسين ظاظا ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٣٠٦ .

بعضهم . يقول عن العامة : أنهم لا يقدرون أثناء اجتماعهم فى مجلس الشراب على التحادث معا ، ولا على أن يستمدوا من أنفسهم صوتا ولا كلمات ، وذلك بسبب نقص ثقافتهم ؛ لهذا فإنهم يعلون من أجر عازفات الناى ويدفعون ثمنا غاليا لصوت غريب ، صوت آلات الناى ، ومن خلال هذا الصوت هم يتحادثون مع بعضهم البعض . أما فى مآدب الخاصة المتميزة ومن هم على ثقافة فإن المرء لا يرى لا عازفات ناى ولا راقصات ولا عازفات على القيثارة ، إنما هم يكفون أنفسهم بأنفسهم فىأحاديثهم بلا حاجة إلى هذه السفاسف وهذه الألاعيب ، وذلك مستعينين بأصواتهم هم أنفسهم ، متحدثين ومستمعين كل منهم فى دوره وفى نظام ، وهذا حتى عندما يسرفون فىالشراب[1].

ويبدو أن فائدة المائدة لم تكن فقط للاستمتاع بالشراب والطعام أو صحبة الأصدقاء ولكنها كانت وسيلة من وسائل دعم الأمن فىالمجتمع " ولكنكم عندما حاولتم هذه التجربة ودفع بكم لأن تفيدوا من هذه الموائد العامة ، أسفر التطبيق عن أن ذلك النظام يؤدى إلى الأمن على نحو فائق ، وتلك حقيقة على الطريقة التى أصبحت بها المائدة الشعبية نظاما من أنظمتكم " [2]. وبعد أن أثبت أهمية المائدة العامة يتعجب أفلاطون على لسان أحد المحاورين أن يقتصر حضور المائدة على الرجال فقط. وأن إهمال المرأة وتجاهلها يعد خللا فى القوانين لأنه لا يوجد أى أثر لذلك النظام نفسه، نظام المائدة العامة بالنسبة للمرأة وهى نصف المجتمع ذاته [3]. ولذلك يطلب مراجعة القوانين وابتكار عدة نظم جديدة تجبر المرأة على المشاركة فى نظام المائدة العامة على أساس أنه نظام معترف به من نظم الجماعة " وإذا فماذا عن المحاولة الفعلية لإرغام المرأة علىتناول الشراب واللحم وسط الجمهور كى ما نهرب من السخرية " [4] . وقد انتقد أرسطو هذا الاقتراح بقوله : على أنه فى خططه السياسية الأخيرة يقول بوجوب إنشاء موائد عامة حتى للنساء [5].

---

[1] أفلاطون ، محاوره بروتاجوراس ، ترجمة عرب قرنى ، مكتبة الحرية الحديثه ، القاهره ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٢ .

[2] أفلاطون ، القوانين ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

[3] نفس المصدر ، ص ٣٠٧ .

[4] نفس المصدر ، ص ٣٠٨ .

[5] أرسطو ، السياسيات ، ص ٦٦ .

والحقيقة أن الموائد العامة كان لها الكثير من الوظائف والخصائص ، ويبدو أن توزيع المواطنين على الموائد العامة كان يتم تحت الإشراف الحكومى ، كما أقيمت بعض الموائد العامة فى أبراج الحراسة والمخافر . يقول أرسطو إنه يمكن ترتيب الموائد علىالنحو الآتى : أنه ليجدر أن يخصص لمقامات الآلهة وموائد أصحاب الحكم الرئيسية مكان مناسب واحد [1]. ولما كان الدولة تم تقسيمهم إلى كهنة وحكام ، فإنه من الأفضل أن تقام موائد الكهنة العامة حول المبانى المقدسة . أما السلطات الإدارية ورقباء الأسواق والحوانيت فتقام موائدهم العامة فى ساحة المدينة . ويجب أن يتم تطبيق هذا النظام فى المناطق الريفية [2].

وإذا كان لمجالس الشراب بعض الفائدة فإن الكتاب أنفسهم أوضحوا أيضا بعض مضارها ، يقول أفلاطون على لسان محاوريه وقد سبق لنا أن حظرنا على الحراس شرب الخمر حتى الثمالة . فالحارس هو أبعد الناس أن يشرب حتى ينتشى فلا يدرك أين هو . ولا شك أنه من المضحك أن يكون الحارس فى حاجة إلى من يحرسه [3]. ويقول أيضا إن الإسراف فى الشراب أمر غير لائق فى كل مكان الالهم فيما عدا عيد الإله الذى يهب العنب مع أن ذلك يجنب الضرر أيضا [4]. وينبه أيضا إلى أن الرجل الغارق فى الشراب لا يستطيع إلا أن يتمد ويرتاب فورا فى كل الطرق ، وبجسمه جنون عقله ، والنتيجة هى أن السكير ثقيل وأخرق وغارس غير صالح لحبوبه ،وإذا فلا عجب أن يمشى متثاقلا بوجه عام وأن يصبح مخلوقا متغيرا ذا نفس ملتوية كجسمه [5]. كما يبين أرسطو فى دستورسيراقوزا بعض مضار كثرة الشراب بقوله : أن ديونيسيوس كان يشرب أحيانا لمدة تسعين يوما متصلة ، ومن ثم فإن بصره صار ضعيفا [6].ولعله من المستغرب أن يشبه أفلاطون اعتدال الدولة باعتدال الكأس بقوله إن الدولة ينبغى أن تكون كالإناء المخلوط جيدا حين نصب فيه النبيذ

---

[1] أرسطو، السياسيات ، ص ٣٨٩ .

[2] نفس المصدر ، ص ٣٩٠ .

[3] أفلاطون ، الجمهورية ، دراسة وترجمة فؤاد زكريا ،دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ك٧ ، ص ٤١٨ .

[4] أفلاطون ، القوانين ، ص ٢٩٩ .

[5] نفس المصدر ، ص ٣٠٠ .

[6] Athenaeus, The Deipnosophist, IV, P.473.

فنجد مزاجه حادا إلى درجة الجنون فنصلحه بنبيذ آخر أهدأ وأوقر فيمتزج النبيذان امتزاجا عادلا يتحفنا بجرعة صحيحة محتشمة [1].

وقد يبدو الأمر غريبا أن يعقد أرسطو مناقشة حول طبيعة الخمر وهل هى باردة أم حارة ، ولكن يبدو أن هذا الموضوع كان يشغل فكر الفلاسفة والمفكرين فقد ناقش أبيقور الموضوع نفسه فى مائدته ويرى أن الخمر ليست حارة بشكل مطلق ولكن يوجد بها بعض ذرات منتجة للحرارة وأخرى منتجة للبرودة . وبعض من هذه تقل حراراتها عندما تدخل الجسد والآخر تنصرف عن الجسد تُوائم نفسها على طبيعتنا . ومهما كان تكويننا وطبيعتنا فإن بعض الرجال عندما يشربون يصيرون أكثر حمية وآخرون يعانون العكس [2].

ويبدو أن أدب الموائد أو المناقشات التى يتم مناقشتها على المائدة تعود جذورها إلى كتابات هوميروس حيث صار يوجد ما يعرف باسم المائدة الهوميرية ؛ حيث كان الشاعر حريصا على تمييز الأوقات والأشخاص والمناسبات الخاصة بكل مائدة .وهذا ما التزم به كل من اكسينوقراط وأفلاطون فى أبحاثهم ، أما أبيقور فلم يهتم بهذه الأمور [3]. وقد حرص الكتاب على ذكر بعض الطرائف التى حدثت على الموائد فعلى سبيل المثال يقال إن أنتيباتر الفيلسوف أقام مائدة ذات مرة وطلب من الحاضرين أن يناقشوا القضايا التى يوجد فيها خلاف مع السوفسطائيين ، وقال أن أرسكلاوس Arcesilaus كان مدعوا إلى مائدة ، وجاء المكان المخصص لجلوسه على أريكة يجلس عليها شخص آخر كان يأكل بنهم ، فلم يتمكن ارسكلاوس من الاستمتاع بأى شىء . وعندما قام أحد الرفاق بمناولته الطعام عبر شريكه على الأريكة ، قال شكرا لك يا سيدى ، وشكرا إلى تليفوس Telephus – إن ما أتذكره – أن الرجل الذى كان يأكل بنهم اسمه تليفوس[4]. ويقال إن زينون كان له موقف طريف مع أكول شره كان يشاطره المائدة ، فقد قام الشخص الشره باختطاف

---

[1] افلاطون ، الفوانين ، ص ٢٩٧ .

Athenaeus, Op.Cit, Iv, P.513.

[2] Plutarch, Moralia, VIII, P.237.

[3] Athenaeus, Deopnosophist, II, P.325.

[4] Ibid., II, P.323.

الجزء الأعلى من السمكة فى اللحظة التى وضعت فيها علىالمائدة أمامهم ، فقام زينون بالالتفاف بحركة مفاجئة وانتزعها مرة أخرى وهو يردد : ولكن اينو من جانبها قد أنهت العمل على الجانب الآخر[1].

ويمكن أن نستخلص الأفكار الرئيسية فى هذه المحاورة من ثنايا الشذرات الباقية علىالنحو التالى :

١ – أن هناك آدابا عامة يجب مراعاتها عند الذهاب إلى حفلات الشراب أو الموائد بصفة عامة وأهمها أن يكون الفرد علىدرجة عالية من النظافة فى البدن والملابس .

٢ – يجب مراعاة مكانة الإلهة السامية عند تقديم القرابين وأن ما يقدم للإله لابد أن يكون تاما وكاملا فى أفضل صورة .

٣ – أن مجلس الشراب كان يعقد بعد تقديم القربان أى أن الشراب كان يعد من الطقوس الدينية.

٤ – هناك حدود يجب مراعاتها عند تناول الخمر ، فلا يجدر بالرجل الحكيم أن يشرب إلى درجة الهذيان .

٥ – يفرق أرسطو بين تأثير الخمر فى كل من الإنسان الأحمق والإنسان الحكيم . فإن الأحمق إذا شرب الخمر حتى الثمالة فإنها تدفعه إلى ارتكاب الكثير من الأخطاء ، بينما الإنسان الحكيم إذا شرب حتى الثمالة فإن ذلك يجعله يعيش فى حالة من النشوة والشعور بالبهجة والسرور .

٦ – يبين أرسطو فوائد التين الذى يقدم كفاكهة حلوة المذاق ،وأنه يساعد علىالهضم ، كما أنه ترياق لكل السموم فضلا عن استخدامه فى البخور .

٧ – ان الخمر إذا تم تسخينها إلى قدر معقول فإنها تفقد الكثير من قوتها وتأثيرها .

---

[1] Athenaeus,Op.Cit, II, P.323.

ثالثا : فى الثروة

On Wealth

فى الثروة On Wealth

لم يبق من هذه المحاورة سوى أربع شذرات منها اثنتان لفلوتارخ تحملان معنى واحد وشذرة واحدة عن شيشرون وأخرى مختصرة جدا عند فيلوديموس وقد نقلها كل من روس وكروست .

- ١ -

الناس بصفة عامة ، كما يقول أرسطو : البعض لا يستغلون ثروتهم بسبب بخلهم أو يسيئون استغلالها بسبب تبذيرهم ؛ ولذلك فإنهم عبيد على الداوم . فهولاء عبيد للذاتهم والآخرون عبيد لأعمالهم [١].

يقول أرسطو إن بعض الرجال لا يستغلون ثروتهم وآخرون يسيئون استغلالها ، وهذا يعنى أن كليهما مخطئ ، فالنوع الأول لا يجنى أية فائدة أو نعمة مما يملك ، والنوع الثانى يجلب على نفسه الضرر والعار [٢].

- ٢ -

ما مقدار وزن وحقيقة توبيخ أرسطو الزائد لنا لأننا لا نسأل عن مقدار هذه المبالغ الضخمة التى تنفق بإسراف على مداهنة الرعاع ! إن الرجال الذين يحاصرهم الأعداء سيجبرون على دفع مينا (مائة دراخمة) مقابل بنتا واحدا (حوالى نصف لتر) من الماء [٣]. إن ذلك كما يقول يبدو غير معقول ونتعجب منه عندما نسمع عنه للمرة الأولى . ولكن عندما نتفكر فيه تزول الدهشة ونقدر الضرورة التى دفعتهم إلى بذل هذه النفقات الباهظة . وعلى الرغم من أنه لا يوجد بديل عن الضرورة ، ولا مزيد من السمو والرفعة . فإن لحظات سعادة الجماهير قصيرة ومشتقة من الأمور الخسيسة . وعندما تشبع الجماهير رغباتها تموت الذاكرة الحقيقية للمتعة . ويلخص الأمر عندما

---

[1] Plutarch, Lives,V."Pelopidas" , P.347;And See Also: Ross, The Words of Aristotle, XII, P.57 .

[2] Plutarch, Moralia, VII, P.29.

[3] الميناورد يونانى من الفضه يساوى ١٠٠ دراخمة . انظر : أفلاطون : القوانين ، ك ٦ ، ٢٦٠ ص ٣١٤.

يقول إن هذه الأشياء ترضى الأطفال بل حتى النساء والعبيد والأحرار الذين هم مثل العبيد ، ولكنها على أية حال لا يمكن قبولها من رجل جاد رزين يزن الأمور وزنا سليما [1].

- ٣ -

الذى جرى لأرسطو (كما أثبت ميترودوروس) فيما يختص بالمناقشة فى عمل عن الثروة " ليوضح أن الإنسان الجيد هو أيضا جامع جيد للمال ، والإنسان السيىء جامع سيىء للمال[2].

ويتضح من النصوص السابقة أن أرسطو يقرر أن معظم الناس لا يستفيدون من ثرواتهم بسبب استخدامهم السئ لها إما بسبب البخل والشح وعدم استخدام الثروة فيما يفيد أو بسبب السفه فى استخدام الثروة وتبديدها فى غير ذى نفع. كما يوجه أرسطو اللوم لمن ينفق المال بسبب حب الظهور أو اكتساب عطف الجماهير وحبهم . ومع ذلك فإنه أيضا يبين أن الضرورات تبيح المحظورات بمعنى أنه فى ظروف قاهرة يضطر الإنسان أن ينفق الكثير من المال على سلع لا تساوى إلا القليل من المال فى الأوقات العادية . ويخلص أرسطو إلى القول إن الممارسات غير الصحيحة فى استخدام الثروة تنال استحسان ورضا الأطفال والنسوة والعبيد ومن على شاكلتهم ولكنها لا تجد الاستحسان من الإنسان العاقل الذى يقيم الأمور تقييما عقلانيا [3]. من جانب آخر ربط أرسطو بين الأخلاق والثروة وقرر أنّ العبرة ليست فى جمع الأموال ولكن فى شخص وأخلاق جامع المال .

إن الأفكار التى عبر عنها أرسطو فى هذه المحاورة شرحها بالتفصيل فى كتابه السياسة والأخلاق حيث يتحدث عن الثروة أو المال بأنه يأتى بفن الكسب وفن الإدارة [4]. وأن الغنى الحقيقى صادر عن أبواب الرزق [5]. ويتحدث عن فن جمع المال بأنه يدور خصوصا حول النقد ، وأن عمله

---

[1] Cicero, XXI, De Officiis, PP.227,229; And See Also : Ross, The Works of Aristotle, XII, P.57.

[2] Ross, Op. Cit , XII,P.57 .

[3] Chroust, Aristotle, II, P.19.

[4] أرسطو ، السياسيات ، ص ٢٢ .

[5] نفس المصدر ، ص ٢٥ .

الخاص أن يتمكن من البحث عن أعظم مورد للثروة ، لأن الثروة والغنى هما من صنع الفن ، إذ إن الناس فى الغالب يعتقدون أن الغنى قائم على وفرة النقد [1]. وقد فرق أرسطو بين الطرق المتعددة لإنفاق المال وميز بين السخاء والتبذير والتقتير ، ويقول فى السخاء : إن معه فضيلة فى الأموال هو الذى يستعمل الغنى على أفضل ما يكون وهذا هو السخى ، وقد يعلم أن استعمال المال هو النفقة والإطاء ، فأما جمع المال وحفظه فهو اقتناؤه . ولذلك صار من شأن السخى أن يعطى لمن ينبغى أن يعطى ، أكثر من أن يأخذ من حيث ينبغى ، وألا يأخذ من حيث لا ينبغى [2]. كما نبه إلى أن أسخى الناس هم الذين حصلوا على المال من غير اكتساب لأنهم لم ينلهم مضض الحاجة [3]. فإن كان السخاء متوسطا فى العطاء والأخذ فى الأموال ، فالسخى إذن يعطى وينفق فيما ينبغى ، وبمقدار ما ينبغى ، ويفعل ذلك فى الكثير والقليل على مثال واحد ، وباستلذاذه ، ويأخذ من حيث يجب وبالمقدار الذى يجب . وذلك أن الفضيلة لما كانت توسطا فيما بين الأمرين جميعا كما ينبغى ، أعنى يعطى ويأخذ [4]. وإن كان هناك تحفظا من جانب أرسطو على السخاء فقد قال إنه ليس من الأمور المحمودة فى أمور الحرب [5]:

أما التبذير والتقتير فقد عرفهما بأنهما زيادة ونقصان فى الأخذ والعطاء ، فعطاء المبذر يزيد على التوسط فى الإعطاء ويقل أخذه عن الحد نفسه ، والتقتير ينقص عنه بالاعطاء ويزيد عليه بالأخذ [6] وقد فرق الاثنين على أساس أن المبذر أحسن حالا من المقتر ، لأن المبذر ينفع كثيرا من الناس ، والمقتر لا ينفع أحدا ، ولا ينفع أيضا نفسه [7]. كما أن عطايا المبذرين تختلف عن عطايا الأسخياء ؛لأن المبذرين لا يهتمون بالأمر الجميل ، وقد تضيق صدورهم فيأخذون من كل موضع يسنح لهم ، وذلك أنهم يشتهون أن يعطوا ولا يسألون من أين أوكيف يأخذون . ولذلك

---

[1] أرسطو ، السياسيات ، ص ٢٨ .

[2] Aristotle, Nicomachean Ethics, translated by , H.Rackham, London, 1994, P.191.

[3] Ibid.,p.195 .

[4] Ibid., p.195.

[5] Ibid., p.189 .

[6] Ibid., p.197 .

[7] Ibid., p.199 .

صارت عطاياهم تنتسب إلى السخاء ، ولا هى جميلة ، ولا يفعلونها للجميل ، ولا كما يجب لكنهم ربما أغنوا من يصلح له الفقر . ولم يعطوا ذوى الأخلاق الرضية شيئا ، وربما أعطوا المال الكثير لمن يسألهم بالتملق ، أو بشىء آخر مما يلتذونه ، ولذلك صار أكثرهم منهمكين فى لذاتهم [1].

والمقتر هو الذى يطلق عليه شجيح ولئيم وبخيل ، وينقصون فى العطاء ، ولا يشتهون مال غيرهم ولا يريدون أن يأخذوا من أحد شيئا حتى لا يأخذ منهم أحد شيئا من أموالهم ويكتفون بألا يأخذوا ولا يعطوا ، ومنهم قوم يفرطون فى الامتناع من أن يعطوا أحدا شيئا [2].

أما أسوأ أنواع الكسب فهو كسب الذين يفرطون فى الأخذ حتى يأخذوا من كل جهة ، ويأخذون كل شىء يقدرون عليه مثلما يفعل القوادون وأمثالهم والمرابون الذين يأخذون الكثير على اليسير فإن هؤلاء كلهم يأخذون من حيث لا يجب ، وأمر العائد لهم الربح القبيح ، فإنهم كلهم يحتملون العار والفضيحة بسبب الربح اليسير ... فأما المقامر واللص فهما من المقترين لأنهما يطلبان الربح القبيح ويفعلان ما يفعلانه بسبب الربح ، ويحتملان العار ، فاللصوص يحتملون البلايا العظيمة بسبب الأخذ والمقامرون يربحون من أصدقائه الذين ينبغى لهم أن يعطوهم . والفريقان كلاهما يطلبان الربح من حيث لا يجب . فهم لذلك من أصحاب الربح القبيح بإرادتهم [3].

ومن ثم نجد أن أرسطو لم يوص بالاكتساب المفرط للثروة وأنه لم يشجب الذين يهتمون بجمعها بل استهجن من انشغلوا بالعمل فقط واستنكر تكوين المال بطرق ليست شريفة مثل السرقة والقمار غير أنه أكد بغضه للزيادة عن طريق الربا ؛لأن ربحه يأتى من النقد نفسه لا مما جعل له النقد ؛ أى أن الفائدة تأتى من إقراض النقد وليس من استثمار النقد فى تحقيق الفائدة [4].

على أية حال فإن موضوع الثروة من الموضوعات التى نالت اهتمام الفلاسفة والكتاب وخاصة أفلاطون الذى تحدث عنها من عدة جوانب ، فإنها الأساس الذى يقوم عليه نظام حكم

---

[1] Aristotle, Nicomachean Ethics, p.199.
[2] Ibid., p.201 .
[3] Ibid., p.203.
[4] ارسطو ، السياسات ، ص ٣١ ، ٣٢ .

الأوليجاركية الذى يحكم فيه الأغنياء دون أن يشاركهم الفقراء فى السلطة على الإطلاق [1]. كما قارن بين الثروة والفضيلة فقال أن الأثرياء فى سعيهم إلى المزيد من الثروة يقل تقديرهم للفضيلة بقدر ما يزداد تقديرهم للمال . أليس بين الفضيلة والثروة ذلك الفارق الذى يجعل إحداهما تنخفض كلما ارتفعت الأخرى إذا وضعتا فى كفتى ميزان ؟! فإذا كرمت الثروة والأثرياء فى دولة ما ، قل تكريم الفضيلة والفضلاء فيها حتما [2]. كما أعلن أفلاطون أيضا نقده الشديد للذين يتخذون من التملق للأثرياء وسيلة للتربح وجمع المال [3]. كما ندد بالربا والمرابين وأفعالهم الدونية للإيقاع بضحاياهم [4]. ومن أطرف تعليقاته على الثراء والفاقة بأن الثراء يورث الطراوة والخمول ، والفاقة إلى الضعة والرغبة فى اقتراف الشر ، وتحدث عن الغنى والفقر وأثرهما فى فساد الصناع ؛ لأن الصانع إذا أصبح ثريا لم تعد لديه الرغبة فى مواصلة العمل فى مهنته ويزداد إهماله وخموله فى كل يوم ، ويزداد فسادا فى مهنته . أما إذا أعاقته الفاقة عن أن يحصل على الأدوات اللازمة لعمله ، قل إتقانه وجودة صنعته ، ولجعل من أبنائه أو غيرهم صناعا فاسدين إذا ما علمهم حرفته [5]. كما أن أفلاطون فى مواضع عدة ــ شأنه فى ذلك شأن أرسطو ــ قد استهجن الممارسات الدنيئة الشائعة بين الأثرياء محدثى الثراء من اكتساب نفوذ سياسى أو هتاف عام أو إشباع شهوات حسية ينفقون عليها مبالغ مالية كبيرة ، وأخيرا فإن أرسطو قد ميز بين الأساليب الصحيحة وغير الصحيحة لاكتساب الثروة [6].

ومن ثم يمكن القول إن هذه المحاورة تحمل آراء أرسطية خالصة أكدها أرسطو نفسه فى كتاب السياسيات وكتاب الأخلاق ، كما تحمل فى الوقت نفسه تأثيرا أفلاطونيا ظاهرا .

---

[1] أفلاطون ، الجمهورية ، ص ٤٦٥ .

[2] نفس المصدر ، ص ٤٦٦ .

[3] نفس المصدر ، ص ٤٦٦ .

[4] نفس المصدر ، ص ٤٧٣-٤٧٤ .

[5] نفس المصدر ، ص ٢٩٦ — ٢٩٧ .

[6] Chroust, Aristotle, II, P. 23 .

رابعا : فى العدالة

On Justice

فى العدالة On Justice

تعد محاورة عن العدالة من أشمل وأشهر الموضوعات التىألفها أرسطو فى مرحلة الشباب ، وهى محاورة معروفة ، وضعها أرسطو فى أربعة كتب ، وتحدث عنها عدد كبير من المؤلفين القدامى فى عدة مواضع من مؤلفاتهم . وقد صممت على هيئة حوار ، فهى تتكون من شرح وعرض فلسفى واع وراسخ . وعلى الرغم من أن أعمال أفلاطون الأخيرة لها الشكل الأدبى نفسه لهذه المحاورة إلا أن أرسطو كان متأثرا فى هذه المحاورة بالأسلوب الأدبى لأيزوقراط [1]. وقد قدم روس لهذه الشذرات بشذرة صغيرة اقتبسها من شيشرون ، جاء فيها : ملأ الكاتب الآخر (أرسطو) أربعة كتب ضخمة بآرائه عن العدالة [2] .

-١-

أنه كما بينت من قبل فإنه من غير المفيد استخدام كلمات ذات معان متشابهة فىالفقرات التى يقصد بها إثارة الفزع أو الرثاء ، أو حتى فى فقرات التأملات الأخلاقية ؛ لأن كلمات الرثاء يجب أن تكون بسيطة وغير مقحمة ، وكذلك أيضا التأملات الأخلاقية . ومهما يكن من أمر فقد جاء فى عمل أرسطو عن العدالة : إذا كان على المتحدث الذى يندب مصير أثينا أن يقول إنهم استولوا على مدينة للأعداء وفقدوا مدينتهم ، مقارنا بين مكسبهم وخسارتهم ، فإنه قد استخدم لغة الشفقة والرثاء . ولكنه إذا نظم الكلمات سيقول : إنهم قد استولوا على مدينة للأعداء وفقدوا مدينتهم ؛ قارن المكسب الذى حققوه بالخسارة التى تكبدوها ، إنه لن يطلب من السماء العطف أو الشفقة ولكن (كما نقول) الابتسامات الممزوجة بالدموع . إن استخدام تلك الحيل المغلوطة فى فقرات الرثاء معناه بلغة الأمثال : أن تلعب بين من يندبون [3].

---

[1] Chroust, Aristotle, II,P.71.
[2] Cicero, XVI,Derepublica, P.193; And See Also: Ross,The Works of Aristotle, XII,P.100.
[3] Ross, The works of Aristotle, XII,P.100.

-٢-

مجرم يدعى أيضا يوريباتس Eurybates ... يقول عنه أرسطو فى الكتاب الأول من عمله عن العدالة : إنه كان لصا عندما ألقى القبض عليه وقيد بالأغلال .وألح عليه الحراس أن يبين لهم كيف يتسلق الحوائط ويصعد إلى البيوت ، وعند تحريره من القيود وضع الشرائح المعدنية المدببة بقدميه وأخذ الاسفنجة وتسلق بسهولة شديدة ، وهرب من السطح ، وفر بعيدا [1].

-٣-

جمع كارنيدس Carneedes [2] فى مقالته الأولى كل الأشياء التى يمكن قولها تأييدا للعدالة بهدف دحضها لكى يفند امتداح أفلاطون وأرسطو للعدالة ، وهذا ما فعله فى الحقيقة .

قال عدد كبير من الفلاسفة خصوصا أفلاطون وأرسطو الكثير عن العدالة ، يدافعون عنها ويكيلون المديح لها لأنها تعين لكل فرد ما يخصه وتحافظ على المساواة فى كل الأمور . وادعوا أنه إذا كانت الفضائل الأخرى ــ حسب قولهم ــ صامتة ودفينة ؛ فإن العدالة وحدها هى التى ليست متحفظة ولا مستترة ، ولكنها تقف بجسارة على استعداد للعمل بإتقان من أجل الصالح العام [3].

-٤-

يقول خريسيبوس Chrysippus [4] انتقادا لأرسطو بشأن موضوع العدالة بأنه ليس علىصواب فى قوله بأنه إذا كانت المتعة هى الغاية ، فإن العدالة تتدمر ، ومع العدالة كل الفضائل

---

[1] Ross,Op.Cit,P.100.

[2] كارنيدس (٢١٤/٢١٣-١٢٩/١٢٨ ق.م) ، درس بالأكاديميةثم آلت إليه رئاستها قبل سنة ١٥٥ ق.م . ويعرف بأنه مؤسس الأكاديميةالجديدة أو الثالثه .

Diogenes laertius, Lives of Philosophers, I,PP.437-443;And See Also: The Oxford Classical Dictionary, Pp.206,207.

[3] Ross, Op.Cit,P.101.

[4] خريسيبوس (٢٨٠-٢٠٧ ق.م) . كان أحد أعضاء الأكاديميةثم تحول إلى الرواقية .

The Oxford Classical Dictionary, P.234.

الأخرى [1].

-٥-

يقول أرسطو فى عمله عن العدالة : الأفكار والأحاسيس متفردة فى طبيعتها منذ الأزل [2].

-٦-

على الرغم من أن زينو مؤسس المدرسة الرواقية كان فخورا ومتكبرا فى كل المجالات الأخرى إلا أنه كان مبتهجا ومتزلفا ؛ لأنه بسبب قوة أبحاثه منحه الأثينيون المواطنة وهو غريب فينيقى . إنه يبدو لى أننى كنت غير مثقف وغير مهتم بأرسطو الذى اتخذته أستاذاً لى فى الفلسفة والحياة ؛ أن اعتقد أن كل الشرف ليس مهما ممن أو على أى أساس يكون الجحود والجشع بالنسبة للإنسان الجيد ؟ ألا أتذكر الأسس التى ميز بها أرسطو الغرور عن الكبرياء الحقيقى ؟ قال فى تمييزهما فى موضع آخر إنه فيما يتعلق بالتشريعات العظيمة وكذلك فيما يختص بكل الأشياء الأخرى التى تسمى جيدة فإنه يوجد اهتمام مغالى فيه بشأنها ، ولكنه أيضا اهتمام معتدل ومنطقى . وأضاف أن الإنسان المتكبر الذى يرفع حاجبيه عند الإطراء الصاخب الذى توجهه إليه الجماهير لأنه قد أنفق الكثير علىالمسارح أو سباقات الخيول من أجل تسليتهم ؛ هو رفيق مغرور قد ابتلى بالرذيلة التى يطلق عليها أرسطو اسم الغرور ، بينما الإنسان الذى يمقت الإطراء ويرى أنه أفضل قليلا من ضجيج الأمواج المتلاطمة على الشاطئ ، ولكنه يثمن أكثر من أى شىء آخر الاستحسان بدون تملق التى يضفيه الرجال المهذبون على الفضيلة ، فإنه فىالحقيقة كبير القلب ومتسع الأفق [3].

ويتضح من هذا النص السابق أن أرسطو قد ناقش فى هذا العمل موضوعات بحثية منطقية وسيكلوجية فى مدخل شديد الوضوح لمشكلة العدالة الفلسفية ، والتى تشمل قضايا سياسية وأخلاقية بالغة الشمول . ويرى البعض أنه قد سار على درب معلمه أفلاطون فى محاورة (الجمهورية) مع أن أرسطو لم يقبل كل ما جاء بالجمهورية على عواهنه ، وإنما كان يتفق أحيانا مع بعض القضايا

---

[1] Plutarch,Moralia, XIII,II,P.473.
[2] Ross, Works of Aristotle, p.101.
[3] Ross, Op.Cit,Pp.101,102.

ويعارض البعض الآخر ، ولذلك ساد الاعتقاد فى بعض الأحيان بأن محاورة عن العدالة لأرسطو ماهى إلا مقالة نقدية لجمهورية أفلاطون [1]. وإن كان البعض يؤكد على أن محاورة عن العدالة إنما تتبنى وجهة نظر فلسفية مماثلة تماما لوجهة نظر أفلاطون أى أنها من محاورات الشباب لأرسطو ؛ لأنها تتعارض إلى حد ما مع مقالاته سواء كانت من المقالات السرية أوالمذهبية [2].

أما ييجر فيقول إن محاورة عن العدالة قد تمت صياغتها فعلا علىغرار كتاب أفلاطون الجمهورية ، ويؤكد ذلك بأن شيشرون فى كتابه الجمهورية قد استفاد من كل من الجمهورية لأفلاطون وعن العدالة لأرسطو ،وأن الفلسفة السياسية لأفلاطون قد تطورت أونمت من مشاكل العدالة ، تماما مثلما حدث مع أرسطو فى كتابه عن العدالة [3]. ويفترض أرسطو أنه إذا كانت المتعة هى الغاية المطلقة وكذلك المعيار النهائى لكل الأفعال الآدمية أو تعد الخير الأخلاقى الأسمى فإن العدالة بالمعنى الأخلاقى للمصطلح ستنهار وتنهار معها كل الفضائل الأخرى . ولذلك يستنبط البعض أنه لا بد أن يكون أرسطو قد ناقش فى محاورة عن العدالة قضايا أخلاقية أخر مثل : الغاية الأخلاقية المطلقة ، أسمى مستوى للأخلاق ، طبيعة المتعة ، صلة المتعة بالفضائل الأخلاقية وعلاقة العدالة بالفضائل الجوهرية [4].

لقد انتقد أرسطو سياسة أثينا التوسعية فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، وطرح تساؤله ماهى المدينة أوالعدو الذى قهره الأثينيون ، والذى كلفهم فقدان مدينتهم ؟ إن التساؤل يتضمن أن سياسة أثينا الخارجية كانت عائقا أمام السياسة الداخلية الأثينية ، أى أنها كانت عائقا أمام النظام الديمقراطى والعدالة الاجتماعية . وهكذا فقد ناقش أرسطو مفهوم العدالة الذى كانت له تداعيات سياسية وأخلاقية ؛ لأنه فى هذه الشذرة التى يتحدث فيها عن مصير أثينا يرفض ــ على أسس أخلاقية ــ أى شكل من أشكال الإمبريالية أو التوسعية العدوانية التى غالبا ما تؤدى إلى تقييد الحرية السياسية أو فقدانها بالكامل وإلى تعطيل العمل بالقانون . وهو بهذا المعنى ربما يكون قد

---

[1] Chroust,Aristotle, II,PP.72,73.
[2] Ibid.P.74.
[3] Jaeger, Aristotle, P.30;note,1.
[4] Chroust,Op.Cit,P.72.

شن هجوما شديدا على جوانب معينة لسياسة أثينا الخارجية وربما على بعض السياسيين الأثينيين[1]. وفى الوقت نفسه تدين محاورة عن العدالة كل الجهود الرامية لتحقيق المتعة أو بعض المكاسب المادية متمثلة فى قوله : قارن بين المنفعة التى جنوها مع الخسارة التى تكبدوها " حتى نأخذ فىالحسبان أن الاعتبارات النفعية هى المرشد النهائى لكل الأفعال السياسية [2].

وبما أن أرسطو كان متأثرا بدرجة كبيرة بكتاب أفلاطون الجمهورية أو أنه كتب محاوراته لتكون نقدا لكتاب أفلاطون فربما كان من الأوفق أن نعرض لمفهوم كل من أرسطو وأفلاطون عن العدالة .

يناقش أفلاطون الأمر بافتراض إقرار الناس أن يكون ممارسة الظلم خيرا ، ومعاناة الظلم شرا، ولكنهم يرون أن كفة الألم فى الشر ترجح على كفة النفع فى الخير . فإذا ما تبادل الناس ممارسة الظلم ومعاناته دون أن يتمكنوا من تجنب أحد الأمرين واكتساب الآخر ، فإنهم يدركون أخيرا أنه خير لهم أن يتفقوا سويا على منع كليهما ، ومن هنا تنشأ القوانين والاتفاقات المتبادلة : فيسمون ما يأمر به القانون أمرا مشروعا عادلا . ذلك هو أصل العدالة وماهيتها [3] . فهى حل وسط بين (خير الأمور) وهو أن يقترف الإنسان دون أن يعاقب ، (وشر الأمور) ، وهوأن يعانى الظلم دون أن تتوافر لديه القدرة علىالانتقام لنفسه . فهم لذلك يتحملون العدالة التى هى وسط بين الأمرين ، لا بوصفها خيرا ، بل بوصفها أهون الشر ، ومن حيث هى خلق يمجده الناس لعجزهم عن ارتكاب الظلم[4] .

أما أرسطو فبعد أن حدد طبيعة الفعل العادل والجائر ، واستنتج أن الفعل العادل وسط بين الجور الذى ارتكبه مرتكب ، والجور الذى تحمله من وقع عليه الجور ، فلأحدهما الأكثر والآخر الأقل . وأما العدالة فتوسط ليس بالنوع الذى به الفضائل التى هى قبل ، بل من أجل أنها فى

---

[1] Chroust, Aristotle,.P.75.
[2] Ibid.,P.75.

[3] أفلاطون ، الجمهوريه ، ص ٢١٦.

[4] نفس المصدر ، ص ٢١٦ .

الوسط، وأما الجور فمن الأطراف ، وأما العدالة فهى حال معطى العدل المستعد لفعل ماهو عدل باختيار وروية ، وهو معطى العدل لذاته من آخر ، ولآخر من آخر ،وليس عليه أن يعطى ذاته من المختار أكثر ، ولغيره أقل . ومن الضار علىاختلاف ذلك – بل يعطى المساوى الذى هو على قدر النسبة ، وكذلك يعطى لآخر من آخر . وأما الجور فعلى خلاف ذلك ، فإن الجائر يعطى ما ليس بعدل[1].

ويرى أفلاطون أن الذين يمارسون العدالة يفعلون ذلك مكرهين ولأنهم عاجزين عن أن يقترفوا الظلم ، وأن كلا من العادل والظالم يسيران سويا فى طريق واحد ، وهوأن يسعى كل منهما إلى تحقيق نفعه ، وهى رغبة يتفق الجميع على أنها خير هدف حتى يضطرهم القانون إلى السير فى طريق العدالة قسرا [2]. ويظهر أفلاطون غياب العدالة وتعطلها فى قصة الراعى جيجس والخاتم الذهبى العجيب الذى حصل عليه ، فعندما كان يدير الخاتم فى إصبعه يختفى عن الأنظار وعندما يعيده إلى مكانه يعود للظهور . وقد استخدم جيجس هذه الخاصية فىالوصول إلى عرش مملكة ليديا بعد أن قتل ملكها وتزوج من الملكة واقترف الكثير من الشرور والآثام . ثم يفترض أفلاطون أنه إذا امتلك رجل عادل مثل هذا الخاتم فإنه يفعل كل ما يشاء ويتجاوز العدالة ويرتكب الآثام ويسير بين الناس سيرة الإله فى كل شىء . عندئذ تصبح أفعال العادل مماثلة لأفعال الظالم . وهذا دليل علىأن العادل لا يكون عادلا باختياره ؛ وإنما هو عادل رغم أنفه .

ويسوق أرسطو قصة مشابهة لقصة أفلاطون فى قصة اللص يوريباتس الذى طلب منه الحراس عندما القى عليه القبض وقيد بالأغلال أن يبين لهم كيف يتسلق الجدران ويصعد إلى أعلى البيوت . وعند تحرره من أغلاله ، وضع أدوات التسلق فى قدميه ويديه ، وتسلق أحد الجدران بسهولة شديدة إلى أن وصل إلىالسطح وتمكن من الفرار . وهكذا اتفق كل من أفلاطون وأرسطو على إظهار مشكلة غياب العدالة ، عندما يسود الشر وتصبح الجرائم بلا عقاب .

---

[1] Aristotle,Nicomachean Ethics, P.381 in The Works of Aristotle, Vol.II, edited by W.D.Ross,Benton Publisher, The University of Chicago, 1952.

أرسطو ، الأخلاق ، ص ١٩٠،١٨٩.

[2] أفلاطون ، الجمهورية ، ص ٢١٦ .

ويرى البعض أن ما ذكره أرسطو فى كتاب السياسة عندما يشير صراحة فى بعض الأحيان إلى أنواع معينة من السلطة ذكرها فى كتاباته المنشورة فإنها تشير تحديدا إلى ما ذكره فى محاورة عن العدالة وأن الموضوعات متوافقة تماما مع المغزى الأساسى للمحاورة ، حيث يقول أرسطو : هذا ومن السهل علينا أن نتوسع فى بسط ما يدعونه ضروب السلطة . ففى مقالاتنا الخارجية فصلنا الكلام فيها مرارا . فالسلطة السيدية على كون المصلحة فى الحقيقة واحدة لمن هو عبد بالطبع ولمن هو سيد بالطبع – تتولى الإدارة أصالة لمصلحة السيد وعرضا لمصلحة العبد . إذ لا سبيل إلى المحافظة على السلطة السيدية إذا ما انقرض العبيد [1]. أما السلطة المفروضة على البنين والمرأة وعلى البيت كله والتى ندعوها لذلك تدبيرية فهى تعود بالنفع إما على المرؤوسين وإما على الطرفين معا . وهى أصالة لمصلحة المرؤوسين . كما نرى ذلك محققا فى الفنون الأخرى كالطب والرياضة . وقد تؤول عَرَضا إلى مصلحة الرؤساء . إذا لا شىء يمنع مروضى الأولاد أن يكون هو نفسه من عداد المتروَّضين . كما أن مدير المركب يحصى دائما فىعداد المبحرين . فالمروض إذن أو مدير الدفة يسعى إلى خير مرؤوسيه . وكلما أحصى هو أيضا فىعداد هؤلاء اشترك فعليا فيما يلحقهم من نفع إذ يصبح مدير المركب أحد المبحرين ، ويصبح المروض أحد المتروَّضين ، مع أن الأول لا يظل مديرا والثانى مروضا [2]. ولذلك عندما تكون السياسة قائمة علىالمساواة بين المواطنين وعلى تكافئهم ، يقبل أفراد الدولة أن يتولوا إحكامها بالتناوب . ولقد كان الناس من ذى قبل يرضون أن يتناوبوا فىالمناصب الحكومية وأن يدعوا غيرهم بالتعاقب يدبرون مصالحهم الشخصية كما كان يسبق لهم فىعهد رئاستهم أن يسهروا على مصالح الغير . وأما الآن فهم يبغون أن يحتفظوا بالحكم دون انقطاع ، طمعا بما تغنمهم المصالح العامة والرئاسة من المرابح وكأنى بولاة الأمور مصابون بمرض مزمن لا يتأتى لهم دوام النجاة منه إلا إذا لبثوا فىالحكم [3]. فلو كانت

---

[1] أرسطو ، السياسات ، ص ١٣٢ .

[2] أرسطو ، السياسات ، ص ١٣٢ .

انظر : أفلاطون ، الجمهورية ، ص ١٩٣،١٩٤ .

[3] أرسطو ، السياسات ، ص ١٣٢،١٣٣

وأيضا : أفلاطون ، الجمهورية ، ص ٢٧٨،٢٧٩ .

هذه حال أهل عصرنا لما سعوا فيما أظن على غير وجه إلى تبوؤ سدة الحكم [1]. فمن الواضح إذن أن النظم السياسية التى تتوخى المصلحة العامة هى كلها قويمة طبقا لسنة العدل الخالصة . وأما التىلا تتوخى إلا مصلحة أصحاب الحكم فهى كلها مخطئة ، وتحسب انحرافات عن النظم القويمة لأنها تجارى سلطة المولى على عبده ، فى حين أن الدولة اشتراك أحرار[2] .

وقد وضع كروست دراسة فى ضوء الشذرات الباقية والافتراضات العلمية والتخمينات التى طرحها عدد من العلماء بشأن الإشارات والتلميحات عن الأعمال الشعبية أو المنشورة الموجودة فى أعمال أرسطو الأخلاق اليوديمية والأخلاق النيقوماخية والأخلاق الكبرى والسياسة واستخلص منها بعض البيانات المبهمة فيما يختص بالمذاهب والآراء الشبيهة المطروحة فى محاورة عن العدالة . ويقرر أنه ليس بوسعه أن يصل إلى الصياغة الدقيقة لهذه المذاهب أو ترتيبها كما كانت فى الأصل أو فى أى جزء أو كتاب من محاورة عن العدالة . وكذلك يعترف بأن المعلومات التى يسوقها لم تكن بالضرورة من محتويات المحاورة ، ولكنه يعتبرها نوعا من المعلومات والآراء المتماثلة ، تم اختبارها بدرجات متفاوتة من الكتابات الأرسطية الباقية فى الأخلاق والسياسة ، وخاصة عندما يشير إلى ما قد قاله سابقا فى أعماله الشعبية أوالمنشورة ؛ لأنه يبدو من السياق العام والطبيعة التفسيرية أوالمرجعية للأسلوب أن أرسطو كان يفكر فى أمور سبق له أن عبر عنها فى عمل من أعماله الأولى أى فى محاورة عن العدالة[3] . ويخلص كروست إلى وضع إحدى وخمسين نقطة أو مقتطف يعتقد أن بعضها أو معظمها كانت من الآراء والأفكار التىعبر عنها أرسطو فى محاورة عن العدالة ويمكن أن نعرض هنا لبعض من فرضياته [4].

إن ثمة أشكال ثلاثة أومبادئ جوهرية للسلطة : السلطة البيتية (التدبيرية) والسلطة الاستبدادية والسلطة السياسية [5]. وأنه يوجد تشابه بين السلطة العائلية والسلطة

---

[1] أرسطو ، السياسات ، ص ١٣٣ .

[2] نفس المصدر ، ص ١٣٣ .

[3] Chroust, Op.Cit,PP.80,81.

[4] Ibid.Pp.81-83.

[5] أرسطو ، السياسات ، ص ١٣١-١٣٣ .

السياسية [1]. والعدالة هى أساس الحكم السليم [2]. وأن التفاعل الصحيح بين العدالة والحكم يؤدى إلى العلاقة السليمة داخل أى تنظيم اجتماعى أو سياسى [3]. وتحدد حقوق وواجبات الحاكم والمحكوم [4]. وتقوم العدالة السياسية على ما هو عادل بالفطرة وكذلك ما هو عادل وفقا للقانون الوضعى [5]. وأن السلطة الاستبدادية تتوخى فى الأساس مصلحة الحاكم [6]. ولأن الحكم الطغيانى تعوزه العدالة فإنه ليس حكما على الإطلاق بالمعنى الأخلاقى على الأقل [7]، ربما فيما عدا علاقة السيد بالعبد أو فى الحدود الضيقة للأسرة أو العائلة [8]. وأنه ثمة ثلاثة أشكال للعدالة تتصل بأشكال الحكم الثلاثة العدالة المحلية (البيتية) والتى هى العلاقة بين الزوج والزوجة والوالد والابن والسيد والعبد [9]. والعدالة الاستبدادية التى ليست فى الحقيقة عدالة على الإطلاق ، والعدالة السياسية [10]. والعدالة السياسية بصفة عامة هى إحدى أشكال المساواة النسبية بين مواطنى المدينة المتكافئين [11]. هذه المساواة تقوم على مساواة كل المواطنين (مساواة فطرية أو قانونية) والمساواة العادلة أو التوزيع العادل للسلطة ، مسئولية توزيع الحقوق والواجبات والامتيازات بالتناسب مع مزايا وقدرات المواطنين [12]. وتكمن المساواة بين مواطنى المدينة فى المساواة فى الحقوق والواجبات [13]. والعدالة

---

[1] أرسطو ، السياسيات ، ص ٦ .

And See Also: Arostotle, Nicomachean Ethics, P.413.

[2] أرسطو، السياسات ، ص ٣٩٦، ١٣٣.

[3] نفس المصدر ، ص ١٣٢ ، ١٣٣.

[4] نفس المصد ، ص١٣٣ .

[5] Aristotle, Op.Cit,P382; Magna Moralia, P.548 in Aristotle, XVIII, translated by Hugh Tredennick and G.Cyril Armstrong, Harvard University Press, London, 1990, PP.426-688.

[6] أرسطو ، السياسيات ، ص ١٣٣.

[7] Aristotle, Nicomachean ethics, P.412 .

[8] Chroust, Op.Cit,P.81.

[9] Aristotle, Op.Cit,P.413 .

[10] أرسطو ، السياسة ، ص ١٣٣ .

[11] نفس المصدر ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ ..

[12] نفس المصدر ، ص ١٣٣، ١٣٢.

[13] نفس المصدر ، ص ١٣٢ ، ١٣٣.

هى طاعة للقوانين [1]. والعدالة المفهومة كطاعة للقوانين تضمن مساواة معينة بين مواطنى نفس المدينة [2]. والعدالة هى التى تخدم العدد الأكبر (ومن ثم فهى أيضا فضيلة نكران الذات) [3]. والعلاقات الاجتماعية لا تقوم على العدالة أو القوانين فقط بل على الصداقة أيضا [4] الأشكال المتعددة للصداقة – الصداقة المبنية على الفضل وصداقة تقوم على المنفعة أو المصلحة المتبادلة والصداقة القائمة على الاتفاق المتبادل[5]، وهى مماثلة للأشكال المتعددة للعدالة [6]. مثل العدالة السياسية . فالصداقة لها أساسها فى تصور المساواة بين المتكافئين [7]. الصداقة أسمى من القانون ومن ثم تمثّل أساسا ساميا للمجتمع ، وفى العائلة بنفس الدرجة فى الجسد السياسى للمدينة [8]. يوجد شىء ما تمثل حب الذات الذى يعنى أن الإنسان صديق نفسه [9]. هذا الحب للذات هو نوع من القياس أو المستوى الذى يمكن الإنسان من أن يحدد ويقيم محبته أو صداقته للآخرين [10] ومن خلال فهم معنى حب الذات فقط يستطيع الإنسان أن يحقق محبة حقيقية يتميز بالإيثار ونكران الذات والصداقة للآخرين [11]حب الذات هو أساس العدالة تجاه النفس [12]، حب الآخرأو الصداقة هو أساس العدالة تجاه الآخر [13]. حب الذات الذى يتطلب تمييزا بين المحب والمحبوب يفترض تفرع النفس إلى فرعين[14] – تنقسم النفس إلى جزء عاقل وجزء شهوانى [15]. تطبق مبدأ العدالة : السلطة والصداقة

---

[1] Aristotle, Nicomachean Ethics,P.376.
[2]Ibid.,P.377,381,382.
[3] Ibid.,P.377.
[4] Ibid., 406,411,412.
[5] Ibid.,PP.407,411,419 .
[6] Ibid., P.410,413.
[7] Ibdi., PP.406,413,414.
[8] Ibid., PP.406,411,412 .
[9] Ibid.,P.665,667 .
[10] Ibid.,P.422.
[11] Ibid.,PP.665 , 667 .
[12] Ibid.,P.419 .
[13] Ibid., P.419 .
[14] Ibid.,P.347.
[15] Ibid., PP.343,347,387,389 .

على النفس [1]. وتتكون النفس من جزء حاكم (عاقل) وجزء محكوم (شهوانى) [2]. الظلم هو التنافر بين هذين الجزئين للنفس – نوع من كراهية الذات يظهر نفسه فى الرذائل المتعددة [3]. هذا يعنى أن الإنسان بوسعه أن يكون عدوا لنفسه [4]. العدالة هى انسجام بين جزئى النفس التى يسيطر فيها الجزء العاقل على الجزء الشهوانى [5]. حكم أو سلطة الجزء العاقل للنفس علىالجزء الشهوانى هو فضيلة [6]. العدالة هي أفضل وأجل كل الفضائل[7].

وفقا لمبدأ العدالة ، الجسد هو صنيعة أو عبد للنفس العاقلة يعينها على تنفيذ مهام معينة فى العالم المادى [8]. العقل يحكم (أو من المفترض أنه يحكم) جزء النفس الشهوانى وكذلك الجسد بالعدالة والعاطفة (الصداقة) مثلما يحكم الحاكم الجيد رعاياه ويحكم رب الأسرة أسرته بالعدالة والعاطفة [9]. فىالعدالة يختلف جزء النفس الشهوانى (اللاعقلانى) والجسد عن جزء النفس العاقل بل ويخضعان له ويأتمران بأوامره ونصائحه [10]. إن خضوع الجزء الشهوانى للنفس والجسد للجزء العاقل إنما يقوم على صداقتهما ومحبتهما للجزء العاقل الذى هو قلق بدوره ، ويحب كلا من الجزء اللاعاقل والجسد [11]. وذلك جزء من عدالة الإنسان نحو نفسه – محبته لنفسه أو حب الذات [12].

متى اكتسب جزء النفس اللاعاقل (أو الجسد) السمو أو السيطرة علىالجزء العاقل فإن الأول (أوالجسد) يغتصب سلطة طغيانية ليس أهلا لها والتى هى الظلم . والظلم هو حكم غير

---

[1] Aristotle,Nicomachean Ethics, P.387.

[2] أرسطو ، السياسيات ، ص ١٤ .

[3] Chroust,Aristotle,P.82.

[4] Aristotle, Magna Moralia,PP.667,669;Nicomachean Ethics ,PP.419,421,422.

[5] Aristotle, Nicomachean Ethics,P.348.

[6] Ibid., p.348.

[7] Ibid.,PP.377,378.

[8] أرسطو ، السياسات ، ص ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ١٢٤ .

[9] Chroust, Aristotle, P.83 .

[10] Aristotle, Op.Cit,P.348,387 .

[11] Chroust, Aristotle, P.83 .

[12] Aristotle, Op.Cit,P.422 .

العاقل على العاقل ؛ الخطأ على الصواب ، الجسد (العاطفة) على النفس (العقل) [1]. النفس المركبة أو الفضلى حيث يحكم الجزء العاقل شبه أسرة أو عائلة فضلى حيث يحكم رب العائلة (أو الأب) باعتدال وهو مثل الجسد السياسى العادل (المنسجم والمنظم) حيث الحاكم العادل (أو القوانين العادلة) يحكم رعاياه بالعدل [2] .

الفضيلة هى سعادة الفرد الخاصة ؛ والعدالة هى السعادة الخاصة بالجماعة السياسية [3]. العدالة هى فضيلة شاملة تقوم على المساواة بين المتكافئين . الظلم (بما فى ذلك الفشل فى معاقبة المجرمين أو فى الغزوات الأجنبية يؤدى إلى فقدان العدالة السياسية الحقيقية فى الوطن) هو شقاء الأفراد وكذلك الجماعة السياسية [4]. يتم فهم العدالة على أنها عدالة سياسية ، (اجتماعية) أو عدالة فردية (مستقلة) فهى أسمى كل الفضائل [5]. بدون العدالة تختفى كل الفضائل الأخرى أو على الأقل يحال دون ممارستها على نحو سليم [6]. إذا كانت المتعة هى أسمى غاية أخلاقية أو مبدأ أخلاقى فإن العدالة ستهلك تماما ومعها كل الفضائل الأخرى [7].

وهكذا بعد استعراض تصورات كروست للأفكار السياسية والمذهبية التى ربما كانت تشكل جزءا من محتوى محاورة عن العدالة ، وأن هذه المحاورة جاءت تقليدا لعمل أفلاطون الجمهورية، ويربط كل منهما بين المدينة العادلة جيدة التنظيم والفرد الفاضل جيد التنظيم ، كما أنهما يطلقان على العدالة " أجل فضيلة " وتحدث كل منهما عن الأجزاء المتعددة للنفس ويؤكدان على ضرورة أن تكون الهيمنة والسيادة للجزء العاقل فى الجماعة السياسية وفى الفرد وهو ما يطلقان عليه اسم العدالة [8]. وبعد ذلك نجد أرسطو يميل إلى الاستقلال ويتخلى عن فكر أفلاطون النظرى الغير واقعى ويتجه إلى العدالة السياسية تأييدا لاتجاه أكثر واقعية وعملية ، يأخذ فى الاعتبار أيضا الحالة

---

[1] Aristotle, Op.Cit,Pp.382,384,386,422.
[2] Ibdi.,P.387.
[3] Ibid.,P.343.
[4] Chroust, op.Cit,P.83.
[5] Aristotle, Op.Cit, P.377 .
[6] Ibid.,P.377.
[7] Plutarch,Moralia, XIII,II,P.473; And See Also: Chroust, Op.Cit,P.83.
[8] Chroust, op.Cit,P.84.

الإنسانية ، كما يبدو أن أرسطو قد نادى بنوع من التعددية السياسية حيث تقوم العدالة على مساواة الحقوق والواجبات لكل المواطنين ، وهذا ما تجاهله أفلاطون تماما . كما يرى أرسطو أن النفس تستطيع أن تستغل الجسد كأنه صديقها وأداتها الفعالة . وبتطبيق ذلك على المدينة ، فإنه يعنى أن كل عضو فى المجتمع السياسى أيا كان عمله أو إسهامه الاجتماعى هو جزء من الكل مدلل ومحبوب وهو تصور مخالف تماما لحكم النخبة السياسى الذى يمنح الحراس مكانة متميزة فى المدينة [1].

[1] Chroust,Op.Cit,p.84.

خامسا : فى اللذة

On Pleasure

فى اللذة On Pleasure

لم يبق من هذه المحاورة سوى شذرة واحدة ذات طابع استفهامى وبالأحرى فإنها عديمة القيمة وإلى حد ما عديمة الفائدة .

وقد جرى النص الموجود بالشذرة الباقية علىالنحو التإلى :

أخرون يطلقون على فليكسينوس Philoxenus [1] اسم محب السمك . ولكن أرسطو يشير إليه ببساطة على أنه محب الأطعمة الجيدة .

ويضيف أيضا فى بعض كتاباته ما يلى :

عندما يتحدثون إلى الجماهير المحتشدة بأنهم يقضون اليوم فى سردالأساطير، وكذلك على أولئك العائدين توا من فاسس Phasis أو بوريثينوس Borysthenes [2] مع أنهم أنفسهم لم يقرؤا شيئا عن عمل فليكينوس سوى الوليمة وليس العمل كاملا [3] .

يتضح من النص السابق أن أكل السمك وتذوقه كان يمثل متعة خاصة لرجال ذلك العصر من اليونانيين أو ربما لاعتقادهم فى فوائد هذا النوع من الطعام وتميزه عن غيره. فقد ذكر أن " الفيلسوف أرسطو كان أيضا من آكلى الأسماك " [4] كما أن أرستيفانس فى مسرحيته الأسماك يصف بعض شخصياته بأنهم محبون للأسماك وأن أرستيبوس السقراطى Aristippus The Socratic كان آكلا للسمك وكذلك أفلاطون [5] وربما تعدى الأمر التمتع بأكل السمك والتلذذ بمذاقه بل تعداه إلى استمتاع حاسة الشم برائحته فقد ذكر هيرميبوس Hermipups فى كتابه الثالث من عمله " تلاميذ

---

[1] فليكسينوس حاكم لوكاس Leucas

See : Chroust, Aristotlem II,P.19.

[2] نهران فى جنوب روسيا يصبان فى البحر الأسود

See : Chroust, Op.Cit, II,P.19 .

[3] Athenaus, The Deipnosophists, I,P.27;And See Also: Ross , The Work of Aristotle, XLL,P.63; Chroust, Aristotle, II,P.19.

[4] Ibid., Iv,P.53.

[5] Ibid., IV,P.57.

أيزوقراط " : أن هيبريدس Hyperides كان يتمشى باستمرار فى سوق السمك فى ساعات الفجر الأولى[1].

وقد يتضح من هذه المحاورة أن أرسطو ينتقد غير المتعلمين أو أنصاف المتعلمين ، الذين يظهرون إهتماما مبالغا فيه بالقصص الخيالية ، والأماكن البعيدة وأن الإنجازات العامة ، والمآثر تتمثل فى تذوق الطعام . وحقيقة أن هذه المقطوعة بعينها قد نسبت إلى محاورة " عن اللذة " ومن المحتمل أنها تعود إلى فيلوكسنوس ابن ايريكسس Eryxis الذى يصفه أرسطو فى كتابه الأخلاق اليوديمية على أنه شخص نهم أو ذواقة للطعام ؛ لأنه كان يتذوق الطعام عن طريق ملامسته لحلقه وليس يتذوقه بلسانه بمعنى أنه شخص يشتق سعادته الرئيسية من الإفراط فى تناول الطعام [2]. وهذا يعنى أن هذا الرجل كان يستمتع بأكل الأسماك أى أنه يجد لذة حسية فى ذلك أما القول إنه كان يحب الأطعمة الجيدة فذلك يعنى أنه كان يستخدم أطعمة ذات فائدة . وكما يؤكد W.Jaeger أن اللذة أو السعادة تلعب دورا جوهريا فى أعمال أرسطو الأخلاقية . فقد كانت اللذة أو المتعة موضوعا لمناظرة هامة داخل الأكاديميةفى المرحلة الأخيرة من حياة أفلاطون ويبدو أنها كانت مناظرات مطولة وأيضا مفعمة بالحياة والنشاط داخل الأكاديمية يبدو كذلك أنه خلال هذه المناظرات كان يّشفق على الآراء المتعلقة باللذة لإيودوكسوس حاكم كيندوس وأنتيشينى Eudoxus of Cnidus (and Antisthenes) والواضح أنه كان يقر بآراء مضادة لمذهب اللذة المتشدد والتى يؤيدها أفلاطون[3] كما اتضح ذلك فى محاورة أفلاطون فيليبوس حيث يدور النقاش فى هذه المحاورة بين سقراط وفيليبوس وبروتاجوراس عن السعادة الحقيقية للروح ، حيث يقول سقراط إن سعادة الروح ليست فىالأشياء المادية التى تؤدّيها الملذّات الجسديّة ، بل سعادتها فى معرفة الخير وعمل الخير واكتساب

---

[1] Athenaeus, The Deipnosphists, IV,P.53.

[2] Chroust, Aristotle, II,P

[3] Ibid., II,PP.19,20.

الحكمة [1] وما الملذّات الجسديّة إلا ظلال ، والملذات الروحية العقلية هى الحقيقة . إنّ العقل هو حاكم العالم ، وهو يختص بالنوع الذى نسميه السبب [2]

أما اللذة فمكانها الطبيعى فى المحل الممزوج الذى ركزت فيه الصحة والتناسب أن الأخيار الذين هم أصدقاء الآلهة يرون الصور الحقيقية ، والأشرار يرون الصور الكاذبة [3] هناك الملذات الصافية فى نفسها التى تشتق من طلب المعرفة ، وهذه تنشأ من عمل تال للملاحظة الناشىءة عن تفكير طويل وقلة ينالونها . إنّ أصدق الفنون هو علم الجدل ، الذى سينسانا ويتبرأ منا، إذا نسيناه وتبرأنا منه ، أما العلوم الأخرى فهى منهمكة بقضايا الرأى وبإنتاج وعمل وشهوات هذا العالم الحسى [4] .

وقسم الملذات إلى ملذات نقية ، وملذات ضرورية إن اللذة إذن ، لا تصنَّف الأولى : فى ميزان الخير ، بل القياس والتناسق الأزلى ، يأتى ثانيا : التناسق والجمال والكمال . ثالثا : العقل والحكمة ، رابعا : العلو والفنون والآراء الحقيقية ، خامسا : الملذات غير المؤلمة ، والعقل أقرب إلى الخير الرئيسى من اللذة . إذ اللذة ترتب فى المقام الخامس وليس الأول وحتى لو أكدت حيوانات العالم كله عكس ذلك [5].

كما أكد أرسطو فى كتابه الأخلاق إلى نيقوماخوس فى تعريف السعادة أن السعادة هى الفضيلة أو اللذة ، أو الخيرات التى من خارج وقد يظهر أن جميع الأشياء المطلوبة فى السعادة هى موجودة للسعيد ، فإن قوما رأوا أن السعادة فضيلة وقوما رأوا أنها فهم ، وقوم رأوا أنها حكمة ما ، وغيرهم رأوا أن جميع هذه الأشياء أو بعضها إما مع لذة ، وإما غير معراة من اللذة [6].

---

[1] أفلاطون " فيلبوس " ، المحاورات الكاملة جـ٥ ، ص٢٦٠،٢٥٦.

[2] نفس المصدر ، ص ٢٦٥.

[3] نفس المصدر ، ص ٢٧٠ .

[4] نفس المصدر ، ص ٢٧٣ .

[5] نفس المصدر ، ص ٢٧٦،٢٧٥ .

[6] أرسطو ، الأخلاق ، ترجمه اسحق بن حنين ، تحقيق عبد الرحمن بدوى ، وكالة المطبوعات ، بيروت ١٩٧٩، ص٧٠ .

فمن قال منهم أن السعادة هى الفضيلة ، ومن قال إنها فضيلة ما ، فقولهم متفق . فإن الفعل الذى يكون على ما توجبه الفضيلة هو الفضيلة وذلك أن السعادة تكاد أن تكون قد وصفت بأنها حسن سيرة وجميل أفعال [1].

وسيرة هؤلاء لذيذة بنفسها ، لأن الاستلذاذ من الأمور المنسوبة إلى النفس وكل واحد من الناس إنما يستلذ بالشىء الذى ينتسب إلى محبته .

مثال ذلك أن محب الخيل يلتذ بالخيل ، ومحب النظر إلى الأشياء يلتذ بالنظر ، وكذلك يجرى الأمر فى جميع الأمور ، محب الفضائل يلتذ بالأمور الفاضلة . وبينما الأشياء اللذيذة عند أكثر الناس تنافى الأشياء الجميلة من قبل أنها ليست لذيذة بالطبع والأشياء اللذيذة بالطبع هى لذيذة عند محبى الجميل بنفسها [2] كما يتسائل أرسطو فى نهاية كتابه الأخلاق النيقوماخية عن طبيعة اللذة وهل هى خير أم شر وإلى أى حد تدخل فى تكوين السعادة الإنسانية ؟

كما يرى أرسطو أن جميع الفلاسفة مختلفون كل الاختلاف بصدد اللذة فالبعض يرى فى اللذة المادية منتهى السعادة والآخر يرى السعادة فى الهروب منها واحتقارها .

ويضرب مثلا للفئة الأولى بأودوكسوس الفلكى تلميذ أفلاطون الذى ذهب إلى أن كل الأحياء سواء منها العاقل أو غير العاقل تسعى إلى اللذة وتعدها الخير .

أما الفئة الثانية فعلى رأسها أسبوزيبوس الذى عد اللذة شرا ينبغى اجتنابه .

كما يقول أرسطو أنه لا يمكن أن تعد اللذة فى ذاتها خيرا كما يقول يودوكسوس لأن هناك أشياء كثيرة خيرة غير مصحوبة باللذة وكثيرا ما يسعى الإنسان الفاضل إلى أشياء لا يترتب عليها لذة بل على العكس تسبب ألما [3] وهنا يتفق أرسطو مع أفلاطون فى أن اللذة تقرن بالعقل والحكمة [4].

---

[1] أرسطو ، الأخلاق ، ص٧٠ .

[2] نفس المصدر ، ص ٧١ .

[3] أرسطو ، الأخلاق ، ص٢٦١ .

[4] د.أميرة مطر ، الفلسفة عند اليونان ، ص ٣٤٤ .

وكذلك نجد أرسطو فى كتابه السياسة فى الفقرة يقول لقد ميزنا فى النفس قسمين أحدهما عاقل بذاته ، والآخر لا يحوى العقل فى ذاته ولكنه قادر أن يخضع للعقل ، والفضائل التى يدعى بها الرجل صالحا نعتبرها منوطة بهذين القسمين ، أما غاية المرء هى السعادة . ولكن هل السعادة منوطة بالعقل ، يقول الفيلسوف إن سعادة المرء هى أفضل الأشياء وبالتالى فإن سعادة الإنسان لا يمكن أن تقوم إلا بأفعال العقل [١].

يقول أرسطو إن السعادة هى وحدها ما نرغب فيه لذاتها ولذلك لا ينطبق اسم الخير الأقصى إلا عليها [٢].

كما يتسائل أرسطو ما هى اللذات التى تعتبر لذات فعلا كل اللذات تعتبر لذات فعلية بسبب صلاحها وليس بسبب كونها لذات ، وأن الإنسان الصالح يعتبر قاضيا [٣].

كما نجد أن أرسطو فى تعريف الصداقة القائمة على المنفعة والصداقة القائمة علىاللذة فإن الذين يحبون بعضهم بعضا لمنفعة فليس يحبون لذاتهم ، بل بأن يكون لهم خير ما بعضهم من بعض . وكذلك الذين يحبون لذة ما فإنهم لا يحبون العقل (أى أهل الحكمة لأنهم ذو كيفية ، بل لأنهم يلتذون بهم فالذين يحبون لمنفعة ما إنما يحبون الخير الذى هو لهم . والذين يحبون لذة إنما يحبون اللذيذ عندهم ، وليس يحب الذى هو محبوب ، بل النافع أو اللذيذ [٤].

وهنا يتضح أن أرسطو تصور اللذة تصورين متعارضين فيما نراه فىالبدء تجريبيا حسيا يقوى باللذات الحسية المعتادة ، نراه فى آخر مذهبه يقول بلذة نظرية مجردة ، لا صلة لها فىالواقع باللذة الحسية المفهومة عادة ولهذا نجده ينظر إلى المثل الأعلى للإنسان [٥] ، أو للإنسان الكامل ، متسائلا ، هل هو هذا الذى عذب وتألم، أم هو الذى يلتذ بكل لذائذ الحياة ، فيقول من ناحية إن

---

[١] أرسطو ، السياسات ، ص ٣٩٧ .

[٢] أرسطو ، الأخلاق ، ص ٥٤ .

[٣] د.جورج كنورة ، السياسة عند أرسطو ،المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ١٥ .

[٤] أرسطو ، الأخلاق ، ٢٧٨،٢٧٧ .

[٥] د.عبد الرحمن بدوى ، أرسطو ، ص ٢٥٨ .

مثل هذا الرجل المعذب لا يمكن أن يكون المثل الأعلى للحياة الخلقية ، لأن ها هنا خلوا من اللذات ، ولكنه يعود فيقول من ناحية أخرى بشيء يقرب من هذا إذ يذكر أن معنى اللذة ليس دائما (الملائم) وإنما معناها أن يحقق الإنسان فعلا ومن هنا فقد يحيا الإنسان حياة مليئة بالآلام ولكن هذه الآلام نفسها تنتهى بالسعادة فهى جديرة إذن أن تسمى لذة ، وهى فى هذه الحالة كالزهرة التى تأتى بعد تطور طويل وهكذا يتضح لنا أن موقف أرسطو متذبذب فيما يتصل بمسألة اللذة ، وإن كان أميل إلى الأخذ بالتصور المعنوى للذة [1].

ونلاحظ فى هذه المحاورة أو القطعة الصغيرة المتبقية منها أنها قد تم صياغتها على غرار محاورة أفلاطون فيليبوس وهذا من ناحية الشكل . وهنا نثير سؤال آخر يصعب إن لم يكن يستحيل الإجابة عليه سواء أكان أرسطو فى هذه المحاورة قد حاول أن يقلد أفلاطون أم حاول أن يتفوق عليه عن طريق إظهار كيف أن المشكلات أو الموضوعات البحثية التى نوقشت فى محاورة أفلاطون فيليبوس .

ولكن أرسطو ناقشها بأسلوب أكثر إقناعا .

أما عن تاريخ كتابة هذه المحاورة فإننا لا نستطيع إلا أن نقول إنه بعد عام ٣٥٧ق.م وهذا هو العام الذى أتم فيه أرسطو دراسته التمهيدية [2]

---

[1] د. عبد الرحمن بدوى ، المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

[2] Chroust, Aristotle, II,P.13.

سادسا : الشهوانى

Erotics

الشهوانى Eroticus

وردت شذرات من هذه المحاورة عند كل من أثينايوس وفلوتارخ ، ويبدو أن أرسطو كان متأثرا بآراء أفلاطون فى محاورة المأدبة بتلك الآراء التى تتناول معنى الحب وأسراره .

- ١ -

يقول أرسطو : إن المحبين لا ينظرون إلى أى جزء من جسد محبوباتهم إلا العينين اللتين يقطن فيهما الحياء والخجل [١].

- ٢ -

وفى الشذرة الثانية : يقال أيضا أن ايولاوس Iolaus الذى كان معشوقا لهرقل كان يشارك فى مسابقات أهل طيبة ويرمى معهم بالرمح . يقول أرسطو : إن المحبين ومعشوقيهم لا زالوا يتعاهدون المحبة عند قبر ايولاوس [٢].

- ٣ -

وفى الشذرة الثالثة : إنك تعرف على ما أعتقد قصة كليماخوس الفارسالى Cleomachus of Pharsalia وسبب موته فى المعركة ... [٣] لقد جاء كليماخوس لمساعدة أهل خالكيس عندما كانت حربهم ضد الإرتريين [٤] فى أوجها . وكان أهل خالكيس يعتقدون فى القوة الهائلة لمشاتهم

---

[١] Athenaeus, The Deipnosophists, VI,P.47 ;And See Also: Ross, The works of Aristotle, XII,P.25 .

[٢] Plutarch, Pel,18.4; And See Also: Ross, Op.Cit, XII,P.25.

ويقول فلوتارخ فى كتاب الأخلاق : اما بالنسبه لهرقل فإنه من الصعب إحصاء كل من أحبهم ، فقد كانوا كثرا . على سبيل المثال فإنه من المعتقد أن ايولاوس كان من حملة من أحبهم ، وأنه إلى يومنا هذا يتعبد العشاق ويبجلون ايولاوس وينبادلون عهود الخطبة مع أحبائهم عند قبره .

See : Plutarch, Moralia, IX,P.381.

[٣] Plutarch, Mpralia, IX,P.375.

[٤] ارتريا Eretria احدى مدن ايونيا Euboea انضمت إلى حلفها خالكس لمزاولة النشاط التجارى فى سوريا وإقامة المستعمرات فى إيطاليا وصقلية وشمال غرب إيجة .

See : The Oxford Classical Dictionary, P.406 .

ولكنهم وجدوا أن مقاومة فرسان العدو أمر فى غاية الصعوبة . ومن ثم فإن حلفاء كليماخوس الذى كان يتصف بقدر هائل من الشجاعة – قد طلبوا منه أن يكون أول من يحمل على الفرسان . ولما سأل كليماخوس محبوبه – الذى كان حاضرا – ما إذا كان سيشهد المعركة رد عليه المحب بالإيجاب واحتضن كليماخوس بمودة وإليه خوذته على رأسه تشجيعا له . وقام كليماخاس الذى امتلأ حماسا بتجميع أشجع الثيساليين حوله وانقض على العدو بحماسة كبيرة شتت فرسانهم وهزمهم هزيمة نكراء. ونتيجة لذلك لاذ المشاة بالفرار وحقق أهل خالكيس نصرا وحقق أهل خالكيس نصرا حاسما . وكان من حظ كليماخوس السيىء أن قتل فى المعركة . وأقام أهل خالكيس قبره فى سوق بلدتهم ونصبوا عليه عمودا ضخما مازال قائما حتى اليوم . وفى السابق كان حب الغلمان مذموما ولكن منذ هذا الوقت تقبلوه وصاروا يبجلونه ويمجدونه أكثر مما يفعل الآخرون . ومع ذلك روى أرسطو أن كليماخوس قد توفى بطريقة أخرى بعد أن أحرز النصر على الارتريين . وأن المحب الذى احتضنه خليله هو أحد الخلكيديين من " تراقيا " تم إرساله لمساعدة الخلكيديين فى " إيوبيا " وأن هذا هو أصل الأغنية الشعبية .

يا أبناء الفضل سليلى الحسب الجليل . لا تنكروا على الشجعان حوارهم مع الجمال . ففى مدن خالكيس تجدون الحب ذا الخلاعة يزدهر إلى جوار الشجاعة[1] .

– ٤ –

يقال فى أحد كتب الأقدمين أن تلاميذ أرسطو تجمعوا حوله يوما ما فقال لهم أرسطو بينما كنت واقفا على ربوة رأيت شابا كان واقفا على سطح شرفة وأنشد قصيدة ، معناها كما يلى :

إن من يموت من وجد الحب ، دعه يموت بهذه الطريقة ، فلا خير فى الحب بغير الموت. ثم قال تلميذه اسوس Issoss أخبرنا أيها الفيلسوف عن ماهية الحب ، فأجاب أرسطو : الحب هو ومضة تتولد فى القلب . وعندما تتولد فإنها تسرى وتنمو ، ثم يكتمل نموها ، وعندما تكتمل يصاحبها فقدان الشهية . وأينما كان المحب تتزايد فى أعماق قلبه الإثارة والمثابرة والرغبات

[1] Plutarch, Moralia, IX,PP.377,379;And See Also : Ross, The Works of Aristotle, XII,PP.25,26.

والأمنيات والتركيز . وهذا يجعل منه إنسانا جشعا وتزداد مطالبه إلىأن تصل به إلى الحزن والاكتئاب والقلق وعدم النوم واليأس ودمار العقل [1].

ويتضح من النصوص السابقة أن أرسطو يقرر فى الشذرة الأولى أن المحبين لا ينظرون فى محبوباتهم إلا إلى العينين اللتين يظهر فيهما الحياء والخجل وهذا يعنى الحد من اللذة الحسية ؛ لأن الممتنع من اللذات الجسدية وهو مسرور بذلك هو عفيف [2]. والعفة لا يمكن أن تنطبق إلا على اللذائذ البدنية بل وليس على جميعها[3].

ومن ثم فإن أرسطو فى هذه الفقرة يقرر أن المحبين لا يسعون إلى اللذة الحسية ؛لأنهم يتصفون بالعفاف أى أن متعة الحب الحقيقية توجد فى لذات النفس وليس فى لذات البدن .

يتضح من هذا أن أرسطو قد تأثر بأفكار أفلاطون فى محاورة المائدة عندما عرف طبيعة الحب وولادته بأن أول مرتبة من مراتبه هى جسم جميل أو أجسام جميلة وهو حب محدود، وشتان بين هذا الجمال والجمال الروحى الذى هو أثمن بكثير من جمال الأشكال الخارجية [4].

ثم ينتقل أرسطو للحديث فى الشذرتين الثانية والثالثة عن نوع آخر من الحب وهو عشق الغلمان . وعلى الرغم من أنه لم يشر إلى أية لذه حسية بين المحب ومعشوقه إلا أنه يظهر أن فضيلة الشجاعة ويحكى أحدهما على الأقل كانت سببا لهذه العلاقة ودافعا للقيام ببعض الأعمال المجيدة .

ويعرف أرسطو الشجاعة بأنها توسط فيما بين الخوف والتقحم ،[5] أى أنها متوسط فيما بين الأمور المفزعة والأمور التى تتجرأ عليها [6]. وهكذا فإن الشجاعة توجد فىالأمور المفزعة وفيما

---

[1] Ross, The Works of Aristotle, XII,P.26 .

[2] أرسطو ، الأخلاق ، ص٨٩.

[3] نفس المصدر ، ص١٣٤ .

[4] أفلاطون ، المحاورات ، جـ ٤ ، ص ١٩٥ .

[5] أرسطو ، الأخلاق ، ص ١٢٢ .

[6] نفس المصدر ، ص ١٢٦ .

يتجرأ عليه ، إلا أنها ليست فيهما على مثال واحد ، إلا أنها تكون فى الأمور المفزعة لأن الذى لا يضطرب فى هذه الأخطار ويسلك إزاءها كما ينبغى ، أشجع حقا ممن يسلك هكذا فى المواقف المطمئنة . ومن هنا يسمى شجاعا من يبدى عن تجلد وصبر فى الأمور المؤلمة . ولهذا فإن الشجاعة هى فى ذاتها أمر مؤلم وهى خليقة حقا بالحمد ؛ لأن احتمال الآلام أعسر من الامتناع من اللذات . وليس ذلك لأنه ينبغى أن نعتقد أن الغاية التى تسعى إليها الشجاعة ليست أمرا لذيذا ، وإنما تحجبها الظروف المصاحبة لها كما يحدث هذا أيضا فى الألعاب الرياضية [1].

وهكذا بسبب هذه الفضيلة التى هى فضيلة الشجاعة صار قبر ايولاوس مزارا للعشاق حيث يتعهدون بخطبتهم هناك .

أما فى حالة كليماخوس الذى استمد القوة والجسارة من نظرات وتشجيع معشوقة معشوقته فقد وصف أرسطو هذه الحالة بأن العشاق قد يجسرون على الأمور الهائلة بسبب الشهوة ، وهى بأن تكون طبيعية أشبه من أن تكون بسبب الغضب ، وإذا اضيف إليها الاختيار والدافع كانت الشجاعة بالمعنى الصحيح [2]. وهكذا فقد قاتل كليماخوس حتى قتل فى المعركة . وربما كانت النتيجة التى أراد أن يظهرها أرسطو هو أن حب الغلمان الذى كان مذموما قبل مقتل كليماخوس صار أمرا مقبولا ومحببا فى خالكيس .

وفى الشذرة الأخيرة يعرض فيها أرسطو لآلام المحبين وما يقاسونه بسبب الصبابة والجوى.

---

[1] أرسطو ، الأخلاق، ص ١٣٢ .

[2] نفس المصدر ، ص ١٣٠ .

سابعا : فى نبل المولد

On Noble Birth

فى نبل المولد On Noble Birth

بقى من هذه المحاورة عدد لا بأس به من الشذرات حفظهـا بشـكل أساسـى سـتوبايوس Stobaeus وبشكل جزئى عند كل من ديوجين لارتس وفلوتارخ وأثينايوس ، وقام بنقلها كل مـن روس وكروست . وجاءت هذه الشذرات على النحو التالى :

- ١ -

من عمل أرسطو " فى نبل المولد " أو الأصل الكريم فيما يتعلق بنبل المولد فإننى فى حيرة بالغة فى تحديد من ينبغى أن نطلق عليه نبيل المولد .

قلت إن مشكلتك طبيعية تماما لأنه يوجد غموض وانقسام كبير فى الرأى بين الناس بل حتى بين الحكماء عن معنى نبل المولد . إن ما أعنيه هو : هل هذا شىء طيب ونفيس ، أو كمـا قـال ليكوفرون Lycophron السوفسطائى أنه شىء تافه . وفى مقارنة نبل المولد بالفضائل الأخـرى يقول إن جاذبية الميلاد النبيل غامضة وأن رفعته مجرد كلمات بمعنى أن أفضليته هى مسألة رأى . أما فى الحقيقة فلا يوجد أى اختلاف بين وضيع الأصل وعريق الأصل [١].

- ٢ -

وجاء فى نفس الكتاب أيضا أنه مثلما حدث نقاش وجدل فى تحديد الحجم الجيد لكل شـىء كذلك ثار الجدل حول من الذين ينبغى أن نسميهم عريقى الأصل . يعتقـد الـبعض أنهـم أولئـك المولودين من أسلاف طيبين ، وهو رأى سقراط ؛ الذى قال : لأن أرستيدس كان رجلا طيبا ولدت ابنته مولدا نبيلا . وقالوا إن سيمونيدس عندما سئل من هم عريقو الأصل ؟ قال أولئك الذين كانت أسرهم ثرية أبا عن جد ؛ ولكن إذا صح ذلك ثبت خطأ ملاحظة تيـوجنيس Theognis اللاذعـة وكذلك ملاحظة الشاعر الذى كتب يقول : إن البشر يبجلون الأصـل العريـق ولكـنهم يتزوجـون

---

[١] Ross, The works of Aristotle, XII,P.59.

الأثرياء. وهل من العجب ألا يكون الرجل الغنى مفضلا إلى آخر ذى جدود عظماء أثرياء أو أسلاف أغنياء لأنه نفسه فقير ؟ فقال : بالتأكيد .

وإنه ينبغى على الفرد أن يتزوج من الأغنياء وليس من عريقى الأصل ؛ لأن الناس القدامى كانوا عريقى الأصل ولكن الناس اليوم أكثر قوة . أليس الأمر هو نفسه بدرجة كبيرة . إذا افترض أحد ما أن أصحاب الأصل العريق هم الذين ولدوا لأسلاف طيبين وليسوا لأسلاف أثرياء ؟ يجب أن نفترض أن الفضائل الحديثة أفضل من القديمة لأن الرجل يشترك فى كثير من الصفات مع والده أكثر مما يشترك فيه مع جده . وأنه من الأفضل أن يكون المرء جيدا بنفسه عن أن يكون له جد عظيم أو بعض الأسلاف الطيبين .

فقال : إنك على صواب .

حسنا إذا بما أننا نرى أن الأصل الكريم لا يكمن فى أى من هذه الأمور ، فهل ينبغى ألا نبحث فى موضع آخر لنرى فى أى شىء يكمن ؟

قال : هذا ما ينبغى علينا .

إن كلمة جيد تعنى حسب افتراض شىء ما جدير بالإطراء ورائع أى أن يكون لديك وجه مليح أو عينان جميلتان فإن ذلك يظهر شيئا رائعا أو جميلا .

فقال : بالتأكيد .

حسنا إذن فإن التمتع بوجه مليح يعنى أن لديك الحسن الملائم للوجه ، وأن تكون لك عينان جميلتان يعنى أن لديك الحسن المناسب للعيون ، أليس كذلك .

فقال : بلى .

ولكن هناك أصول عريقة وأخرى وضيعة وليست عريقة.

فقال : بالتأكيد .

ونحن نقول إن كل شيء يكون جيدا بفضل الامتياز الملائم له . ومن ثم يكون الأصل كريما الأسلوب نفسه .

فقال : نعم .

قلت : من الواضح إذن أن عراقة الأصل هو امتياز السلالة [1].

- ٣ -

يقول أرسطو إن سقراط تزوج بزوجتين – الأولى زانثيب Xanthippe التى أنجبت له لامبروكليس Lamprocles ، والثانية ميرتو Myrto ابنة القاضى أريستيدس ، التى تزوجها بدون مهر ، وأنجبت له سوفرونسكوس Sophroniscus ومينيكسينوس [2] Menexenus .

يروى كل من ديميتريوس الفاليروى وهيرونيموس الروديسى والكاتب الموسيقى أرستوكزينوس وأرسطو (إذا تم الاعتراف بأن عن نبل المولد من أعماله الأصيلة) أن ميرتو حفيدة أرستيدس عاشت مع سقراط الحكيم الذى كان متزوجا من امرأة أخرى ولكنه شمل ميرتو بحمايته لأنها كانت أرملة فقيرة تعوزها ضروريات الحياة [3].

ابتداء من هذه الحقائق لابد أن نلوم أولئك الذين ينسبون زوجتين إلى سقراط ؛ زانثيب وميرتو ابنة أرستيدس – وهو ليس ارستيدس القاضى لأنه لا يصح من الناحية الزمنية ولكنه من الجيل الثالث لسلالته . هؤلاء الكتاب هم كالسثينيس وديميتريوس الفاليروى وساتيروس المشائى وأرستوكزينوس ؛ يجعلهم أرسطو محورا للحديث عند رواية ذلك فى عمله عن نبل المولد [4].

---

[1] Ross, The Works of Aristotle, XII,PP.59,60 .

[2] Diogenes laertius , The Lives of Philosophers, I,P.157;And See Also: Ross, Op.Cit, XII,P.60 .

[3] Plutarch's Lives , II,P.295; And See Also: Ross, Op.Cit , XII,PP.60,61 .

[4] Athenaeus, The Deipnosophists, VI, P.7; And See Also : Ross, Op.Cit, XII,P.61.

من عمل أرسطو عن نبل المولد ، قلت إنه يتضح من مناقشتنا السابقة لماذا يعتقد أولئك الذين ينحدرون من أسلاف أغنياء أو طيبى الأصل أنهم من أصل أفضل من أولئك الذين اكتسبوا هذه المميزات حديثا . إن فضائل المرء أقرب إليه من فضائل جده . وعلى هذا الأساس فإن الرجل الجيد هو كريم الأصل . وقد قال بعض الكتاب ذلك زاعمين أن يدحضوا من خلال هذا الجدل فضائل نبل المولد . يقول يوربيدوس على سبيل المثال إن نبل المولد لا يخص أولئك الذين كان أسلافهم طيبين منذ أمد بعيد وذلك من وجهة نظره حيث إنه كان رجلا أصيلا . وهذا ليس كذلك فالمحقون هم الذين يولون الأفضلية لمزايا الأقدمين . دعنا نوضح أسباب ذلك فنبل المولد هو امتياز السلالة ، والامتياز يخص الرجال الجيدين ؛ والسلالة الجيدة هى تلك التى تضم الكثير من الرجال الجيدين . والآن يحدث هذا عندما يكون للسلالة أصل كريم . لأن للأصل القوة على انتاج الكثير من أمثاله ؛ تلك هى وظيفة الأصل . فإذا كان هناك رجل واحد من هذا النوع فى السلالة ، رجل من الجودة حتى تتوارث العديد من الأجيال فضائله ، فمن المؤكد أن السلالة ستكون جيدة . وسيكون هناك الكثير من الرجال الجيدين إذا كانت السلالة بشرية ، والعديد من الخيول الجيدة إذا كانت السلالة خيلية ، وهكذا أيضا بالنسبة للحيوانات الأخرى . وهكذا فإنه من الطبيعى ألا يكون الأثرياء ولا الرجال الجيدون هم عريقى المولد ولكنهم الرجال الذين كان أسلافهم أغنياء أو طيبين . لقد ألقى الجدل نظرته على الحقيقة ؛ فالأصل يعتد به عن أى شىء آخر . ومع ذلك فليس كل من ولد من أسلاف طيبين أن يكون بالضرورة نبيل المولد ، ولكن فقط هؤلاء الذين يوجد مؤسسين بين أسلافهم . فعندما يكون الرجل جيدا بذاته ولكن ليست لديه القدرة الطبيعية على إنجاب كثيرين على شاكلته ، فإنه أصل فى هذه الحالة لا يمتلك القوة التى نسبناها إليه .

يكون الناس نبيلى المولد إذا انحدروا من مثل هذه السلالة – وليس إذا كان آباؤهم عريقى الأصل ولكن إذا كان أصل السلالة هكذا فإنه ليس بقوة الأب الذاتية أن يلد رجلا عريقا ، ولكن لأنه انحدر من هذه السلالة [1].

من الواضح إذ أن هذا العمل يناقش موضوع نبل المولد ، ويؤكد على وجود اختلاف فى الآراء بين الأفراد بل وبين غالبية الحكماء حول المشكلة الأساسية وهى هل نبل المولد يتعلق بالثروة التى حققها الآباء والأجداد أم بالأصل الطيب الذى يتحلى به الأسلاف .وإذا كان الاختلاف قد دار حول هذا الموضوع ، فهناك من يرى أنه لا توجد فروق بين نبل المولد ووضاعة المولد . وعلى سبيل المثال يرى ليكوفرون أن مسألة نبل المولد هى قضية رأى وأنه لا يوجد فرق جوهرى بين نبل المولد ووضاعته ، وبهذا يتطابق مع رؤيته عن المساواة الطبيعية بين الرجال [2].

ويضع أرسطو تعريفا لنبل المولد على أنه ليس لهؤلاء الذين ولدوا لآباء أغنياء أو أسلاف أثرياء ولكنه للشخص الذى يولد من أبوين كريمين أو أسلاف من ذوى الفضل شريطة أن يكونوا قادرين على التعايش مع نبلهم ، ولكنهم ربما يصرون على أن ينالوا الاحترام اللائق وأن يتم التعامل معهم على أنهم نبلاء طالما أنهم يتصرفون بطريقة نبيلة [3] . وبما أن النبل الحديث أفضل من النبل القديم ، فمن الأفضل أن يكون الإنسان فاضلا بذاته عن أن يكون فاضلا بأسلافه . وبما أن الوضع كذلك فإن الإنسان فاضل ونبيل وعريق المولد بفضل الامتياز المناسب له – لأنه من سلالة أصيلة . ويخلص إلى أن الميلاد النبيل هو امتياز الأصل وبمعنى آخر إن انتقال الامتياز الأخلاقى للأسلاف إلى سلالتهم هو الذى يجعل الناس نبلاء . وقد ضرب مثلا بالقاضى أرستيدس الذى انتقل نبل وعفة أسلافه إلى ابنته أو حفيدته ميرتو على الرغم من أنها كانت فقيرة . ومن ثم فقد كانت نبيلة المولد . هذه الحقيقة أوضحها أرسطو بأن الشخص الفاضل نبيل المولد ليس لزاما عليه أن يكون ثريا . ومن هنا يبدو أن أرسطو قد اتبع التقليد الأفلاطونى بالدفاع عن نظرية

---

[1] Ross, The Works of Aristotle, XII, PP.61,62 .

[2] Chroust, Aristotle, II,P.23 .

[3] Ibid., II,PP.23,24 .

أرستقراطية الأصل ، وهى أرستقراطية ليست بالمعنى البيولوجى ولكـــن فـــى معانيهـــا الأخلاقيـــة والفكرية . بمعنى أنها شئ ما مرتبط بميراث الصفات النبيلة للشخصية والسلوك [1].

---

[1] Chroust,Op.Cit, II,P.24 .

ثامنا : نيرنثوس

Nerinthus

نيرنثوس Nerinthus

لم يبق من هذه المحاورة سوى شذرة واحدة عند ثيمستيوس Themistius وعنه نقلها روس . وقد أطلق عليها أيضا اسم المحاورة الكورنثية نسبة إلى مدينة كورنثة التى ينتمى إليها الشخص المحورى فى هذه المحاورة ويدعى ليكوميدس أخيلس Lycomedes Achilles .

هذا الرجل له تقريبا نفس تجربة الفيلسوفة أكسيوثا Axiothea وزينو الستيومى Zeno of Citium والفلاح الكورنثى . فبعد أن قرأت أكسيوثا كتاب أفلاطون الجمهورية هاجرت من أركاديا إلى أثينا . وحضرت محاضرات أفلاطون لمدة طويلة دون أن يكتشف أحد أنها امرأة – مثل ليكوميدس أخيلس. الفلاح الكورنثى بعد أن صار على صلة بجورجياس – ليس جورجياس نفسه ولكن المحاورة التى كتبها أفلاطون فى نقد السوفسطائى – هجر فى الحال مزرعته وأعنابه ووضع نفسه تحت توجيه وإرشاد أفلاطون ، وجعلها مهدا وموطنا خصبا لفلسفة أفلاطون . هذا هو الرجل الذى يمجده أرسطو فى محاورته الكورنثية . إن الحقائق عن زينون معروفة جيدا ، فقد رواها الكثير من الكتاب – لأنه حضر من فونيكيا إلى ستوا Stoa بسبب محاكمة سقراط [1].

ويتبين من هذا النص السابق أن هذه المحاورة تشكل نوعا من وصف السيرة الشخصية ، كما يحتمل أنها تحتوى على مبررات أرسطو لانتقاله من مدرسة أيزوقراط – التى التحق بها عند وصوله لأول مرة إلى أثينا – للالتحاق بأكاديمية أفلاطون . وأن الشاب أرسطو قد وجد فى الأكاديميةوفى أفلاطون البيئة الفكرية والروحية التى نقلته إلى حياة جديدة – حياة النظرية – القائمة على البصيرة المعرفية والرؤية الفلسفية [2]. فإذا أمكن البرهنة علىهذا الافتراض فإن ذلك يجعل محاورة نيرنثوس تمنح تأييدا عظيما لنظرية ييجر بأن أرسطو الشاب بعد أن أصبح أفلاطونيا خالصا ، جعل روحه مهدا وموطنا خصبا لفلسفة أفلاطون . ولكن محاورة نيرنثوس قد تحتوى أيضا

---

[1] Ross, The Works of Aristotle, XII, P.24 .
And See Also : Chroust, Aristotle, II,Pp.26,27 .
[2] Chroust, Op.Cit, II,P.27 . .

على رسالة فحواها أن التدريب الفلسفى شديد الصرامة تحت إشراف وتوجيه رئيس كفء هو وحده الذى يوصل إلى المعرفة الحقيقية والتفاهم الصحيح [1].

[1] Chroust, Aristotle, II,P.27 .

تاسعا : السوفسطائى

Sophistes

السوفسطائى Sophistes

لم يبق من هذه المحاورة سوى ثلاث شذرات صغيرة ذكرها كل من روس وكروست نقلا عن ديوجين لارتس . ويبدو أن أرسطو قد كتب هذه المحاورة فىالفترة المبكرة من إقامته فى الأكاديمية وذلك للتشابه الكبير بين ما كتبه أرسطو فى هذه المحاورة وما كتبه أفلاطون فى المحـــاورة التـــى تحمل الاسم نفسه . وعلى الرغم من قصر الشذرات الباقية إلا أننا نستطيع أن نتلمس بعض الأفكار من بين ثناياها .

- ١ -

يقول أرسطو فى محاورة السوفسطائى أن امبيدوكليس Empedocles مخترع الخطابـــة ، وزينون مخترع الجدل [١].

- ٢ -

يقول أرسطو أيضا أن امبيدوكليس كان رجلا متحرر الفكر وكارها لكل أنواع القيود للسلطة؛ لأنه تخلى عن المنصب الملكى الذى عرض عليه (وكما يقول اكزانثيوس فى تقريره عنه) لاشك فى أنه كان يفضل الحياة البسيطة [١].

---

[١] Ross, The Works of Aristotle, 12 , P.15;And See Also : Chroust, Aristotle, II,P.24.

بنمى امبيدوكليس (٤٩٠-٤٣٠ ق.م) إلى الطبقة الأرستقراطية فى مدينة اكراجاس فى صقلية ، وجمع بين العالم والفيلسوف والخطيب والشاعر ورجل الدولة . ودافع عن الديمقراطية فى اكراجاس ويقال أنه ادعى النبوة قبل الألوهية وبعد سنة ٤٧٢ ق.م رفض عرضا تولى المنصب الملكـــى . وبعد ذلك تم نفيه فهرب إلى البلوبنس . وبعد نظرية امبيدوكليس عن المادة خطوة على الطريق إلى الذرية . وبعد أن انتقده أرسطو عاد وأدخلها إلى فلسفته .

See :The Oxford Classical Dictionary, P.382.

يوسف كرم ، تاريخ الفلسفه اليونانية ، ص ٣٥-٣٧ .

زينون الإيلى (٤٩٣-٤٣٣ ق.م) تلميذ وصديق بارمنيدس ، وبعد كتاب الجدل الذى كتبه فى مرحلة الشباب من أشهر كتبه .ويقـــال إنـــه لم يستعمل الجدل عرضا وطبعا على ما يتفق لسليقة العقل ، وإنما قصد إليه قصدا ووضعه فى صنعة فنية .

See :The Oxford Classical Dictionary, P.1145 .

يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٣٠-٣٢ .

إن أول كتبه التى قرأها بروتاجوراس [٢] Protagorasعلى الملأ هو الكتاب الذى يتحدث عن الآلهة [٣] ... قرأه فى أثينا فى منزل يوريبيدس [٤]، أو كما يقول البعض فى منزل هراقليدس [٥]. بينما يقول آخرون إن القراءة كانت فى الليكيوم ، قرأه تلميذه أركاجوراس ابن ثيودوتس الذى وجه إليه بيثودوروس ابن بوليزيلوس – أحد أعضاء مجلس الأربعمائة – إحدى التهم ، مع أن أرسطو يقول أن ايوثلوس هو الذى وجه الاتهام [٦].

ويتضح من هذه النصوص السابقة أن أرسطو يقرر بوضوح أن امبيدوكليس هو مبتدع الخطابة وأن زينون حاكم إيلى مبتدع الجدل ، كما أن امبيدوكليس كان كارها لأى نوع من أنواع الحكم والتنظيم . وعلى أساس ذلك يمكن القول إن أرسطو فى محاورته السوفسطائى لا يوصى فقط بالتفكير المنظم ولكنه يمجد أيضا الحياة ذات المبادئ والأصول التى تضبطها وتنظمها القوانين والأوامر الثابتة والتى يجب أن يخضع لها كل الناس . وأنه يجب عليهم أن يفسروا أو يقبلوا المبادئ

---

[١] Ross, The Works Of Aristotle, XII , P.15 .

[٢] بروتاجوراس ، واحد من السوفسطائيين الأوائل وأكثرهم نجاحا .ولد حوإلى ٤٨٥ ق.م . ومن أشهر كتبه كتاب فى الحقيقة الذى يشكك فيه فى وجود الآلهة ، فاتهم بالالحاد وحكم عليه بالموت . ومن أشهر آرائه قوله : الإنسان مقياس الأشياء جميعا .

See : The Oxford Classical Dictionary , P.89.

وأيضا : يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٤٦-٤٨ .

[٣] يرى امبيدوكليس أن العالم يتكون من عناصر أربعة (الماء والهواء والنار والتراب) ، وتجتمع هذه العناصر وتفترق بفعل قوتين كبيرتين هما المحبة والكراهية . فالمحبة تضم الذرات المتشابهة أما الكراهية فتؤدى إلى انفصال الأشياء .

وطبقا لهذا تتكون الآلهة والنفوس على النحو السابق غير أنها أمزجة يغلب فيها الهواء والنار . ويقول إن النفوس البشرية آلهة حاطئة .

أنظر : يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٣٥-٣٧ .

[٤] ربما يقصد المؤلف المسرحى المعروف يوريبيدس (٤٨٥-٤٠٦ ق.م)

[٥] هراقليدس من فلاسفة القرن الرابع قبل الميلاد ، ولد لأسرة ارستقراطية ترية فى هرقلية على البحر الأسود ، والتحق بأكاديمية أفلاطون فى أثينا تلميذا لسبيسبوس ، وحضر أيضا محاضرات أرسطو . وتولى الإشراف على الأكاديمية أثناء غياب أفلاطون فى رحلته الثالثة إلى صقلية ٣٦١/٣٦٠ ق.م . وبعد وفاة سبيسبوس ٣٣٨ ق.م ، عاد هراقليدس إلى هرقلية وافتتح مدرسته هناك .

See : The Oxford Classical Dictionary , P.500 .

[٦] Ross, The Works of Aristotle, XII, P.15. .

وأن يعتمدوا على الفكر المنطقى حتى يتمكنوا من استخدام عقولهم بأسلوب سليم وفعال للحفاظ على التواصل العملى ويعيشوا الحياة السليمة [1]. كما أنه يمكن الافتراض بأن محاورة السوفسطائى قد كتبت ضمن مجموعات بحثية أخرى أو أنها كانت تلخيصا موجزا لتاريخ الفلسفة الإغريقية أو ربما كانت عملا عن الجدل أو تاريخ الجدل . وأن إشارة أرسطو إلى إصرار امبيدوكليس على حرية الفكر وكراهيته لأى شكل من أشكال الحكم يفسر ما قيل عنه : بأن المبادئ التى كان يختارها كانت فى حاجة إلى مبادئ أخرى لتفسيرها [2]. وذلك يعنى أنه كان يقدم دوما آراءه الفلسفية بلغة غامضة مبهمة ، وأنه لم ينجح فى إقامة نظام فلسفى ذى قواعد وأصول مقبولة ومقنعة . ومن ثم فإن محاورة السوفسطائى تحتوى على استنكار شديد لبعض السوفسطائيين ونزعاتهم الفكرية ، وتوضح أن الناس الذين ينتهكون القواعد والأصول المتفق عليها ويستهزئون دوما بالمعتقدات المتأصلة فى نفوس الناس سيتعرضون عاجلا أو آجلا لمشكلات خطيرة[3].

أما عن التوافق والتشابه بين محاورة أرسطو السوفسطائى ومحاورة أفلاطون التى تحمل العنوان نفسه ، فإنه بصرف النظر عن حقيقة أن كلتيهما تحمل الاسم نفسه فإن هذا التوافق يبدو واضحا فى حقيقة أن كلا منهما يمثل الجدل فيها أحد الموضوعات الرئيسية إن لم يكن الموضوع الرئيسى .

ومن ثم يمكن القول إن محاورة أرسطو (السوفسطائى) تناقش طبيعة وصلاحية الجدل ، كما يمكن القول أيضا إن أرسطو قد قام بتأليفها فى وقت قريب جدا من صدور محاورة السوفسطائى لأفلاطون والتى يؤرخ لها عادة ما بين ٣٦٤/٣٦١ ق.م [4].

وإننا إذا ألقينا نظرة على محاورة أفلاطون (السوفسطائى) نجد أن موضوعها الرئيسى هو مناقشة الجدل فيستهل المحاورة بقضية جدلية منطقية ، فهو يقسم الفنون إلى قسمين منتج ومبدع ،

---

[1] Chroust, Aristotle, II,P.25 .

[2] Ibid., II,P.25 .

[3] Ibid., II, P.25 .

[4] Ibid., II,P.25 .

ويصف السوفسطائيين بأنهم كصائدى الأسماك فى الماء [1]. بينما غير السوفسطائى وهو المنطقى الفكر يذهب إلى بحار الثروة والمروج الفسيحة ، وهو يصطاد الحيوانات المفترسة ويطوعها . أما السوفسطائى فهو مولع بالشجار والحرب بالكلمات ، وهو يمارس فن الخصام ويعلم ما هو غير حقيقى عن الأشياء الإلهية وأيضا عن الأشياء المرئية فى السماء والأرض . والسوفسطائى بسبب المناقضة يتلاعب بالألفاظ بقصد المغالطة[2] . ويقول أرسطو عن السوفسطائى إنه صاحب حرفة مبتذلة أو مهنة خسيسة غايتها اقتناص الشباب الموسرين والانتفاع من ثرائهم بحجة تعليمهم [3] بينما يقول أفلاطون : إن السوفسطائى يدعى العلم فقط وهو مخاصم ويعلم فن الخصام عن الأشياء الإلهية التى هى محجوبة عن الناس بشكل عام وكذلك عن الأشياء المرئية فى السماء وعلى الأرض وما شابههما ، ويعلم فن الجدال . فالسوفسطائى ماهو إلا ساحر ومقلد وكلامه كاذب وخادع . وهناك فرق كبير بين الفيلسوف الذى يرتبط علمه بفن الدياليكتيك (الجدل) والسوفسطائى الذى يدعى أنه يعرف عندما لا يعرف ، وهذه قمة الجهل بكل تأكيد [4]. ثم إننا أيضا نجد المعنى نفسه فى محاورة أفلاطون : بروتاجوراس عندما يدور الحوار بين سقراط وبروتاجوراس الذى قال إنه قدم إلى أثينا حاملا لواء العلم والتعليم ، وأنه يعلم علم أو معرفة الحياة الإنسانية . لكن سقراط يدحض كل التعريفات التى يعطيها بروتاجوراس [5] .

وهكذا يبدو التشابه واضحا بين ماتناوله أفلاطون وبين ما كتبه أرسطو ، ولكن يجب الأخذ فىالاعتبار أن محاورة السوفسطائى لأرسطو ليست تقليدا أعمى لأعمال أفلاطون بل يمكن القول إنها محاورة أفلاطونية كتبت بيد أرسطية [6].

---

[1] أفلاطون ، " محاورة السوفسطائى " ضمن المحاورات الكاملة لأفلاطون ، المجلد الثانى ، ترجمة شوقى داواد تمراز ، ص ١٩٥-١٩٧.

[2] نفس المصدر ، ص ٢٠٠-٢٠٢ .

[3] أرسطو ، السياسيات ، ص ١١.

[4] أفلاطون ، محاورة السوفسطائى ، ص ٢٠١، ٢٠٢ .

[5] أفلاطون ، محاورة بروتاحوراس ، ص ٣٠٠ .

[6] Chroust, Aristotle, II,P.234 .

عاشرا : فى الصلاة

On Prayer

فى الصلاة On Prayer

لم يبق من هذه المحاورة سوى شذرة واحدة حفظها سمبيلكوس [1] ونقلها كل من روس وكروست ويجرى النص فى الشذرة الباقية على النحو التالى :

إن أرسطو لديه تصور عن شىء أسمى من العقل والوجود ؛ يظهر بوضوح فى قوله فى نهاية كتابه عن الصلاة : إن الاله إما أن يكون عقلا أو شيئا أسمى من العقل [2].

ويؤكد أرسطو فى هذه المحاورة على آرائه التى عرضها فيما بعد فى محاورة فى الفلسفة وكتاب ما بعد الطبيعة ، كما يبدو فيها أيضا تأثره الواضح بمحاورتى الجمهورية وتيمايوس لأفلاطون .

تحتوى هذه المقطوعة على ملحوظة موجزة خفية المعنى إلى حد ما بأن أرسطو كان لديه تصور بوجود شىء ما فوق الفكر وفوق الوجود . وهى فكرة يؤمن بها ويؤكدها فى كتابه فى الفلسفة حتى يؤكد على وجود كائن روحى ، سامى ، يُعَرِّفه بالفكر البحث أى أن الاله تعالى هو " العقل البحث " أو ربما عقل العقول [3] . والحقيقة أنه شىء ما وراء العقل حيث إن الاله يسمو فوق الإدراك والوجود الروحى . والاله فعلا وراء العقل كما أنه وراء العقل البشرى الذى يسعى إلى إدراك الاله أو إدراك الوجود بصفة عامة . وهذا التصور لا يتفق تماما مع ما يقوله أرسطو فى كتابه ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا ولكنه يتفق إلى حد ما مع بعض آراء أفلاطون [4] حيث يقول ألافطون فى محاورة الجمهورية : إن الاله هو الصانع الحقيقى لكل شىء ويقلده الآخرون [5] . وكذلك عندما دحض ما جاء فى قصائد هوميروس عن الاله وأكد أن الاله خير محض ، سبب كل خير ،

---

[1] سمبيلكوس Simplicius من فلاسفه القرن السادس الميلادى ، ولد فى قلبقية ودرس فى الإسكندرية وآسا ، واستقرت اقامته فى أيسا ، له دراسات وشروح على أعمال أرسطو أرسطو ، السماء والمقولات والطبيعة والنفس .

See : The Oxford Classical Dictionary , P.991

[2] Ross, The Works of Aristotle, XII, P.58.

[3] Chrousrt, Aristotle, II, P.16 .

[4] Ibid., II, P.16 .

[5] أفلاطون ، الجمهورية ، ضمن المحاورات الكاملة ، جـ١ ، ص٤٤٢ .

والأشياء الخيرة وليس الشر ، ووجود الشر يبحث عنه فى مكان آخر وليس فى الاله مطلقا . وهو ليس بساحر ولا يظهر بأشكال متعددة ، ولا يخدع بل هو ثابت فى مجد ربوبيته ، واحد بالذات ، غير قابل للتغير وهو الأكمل ، الأجمل ، والأفضل ، وسبب الوجود والأحسن [1] . وكما عبر أفلاطون عن ذلك فى محاورة طيماوس بقوله : إن العالم مخلوق له بداية وهو خالد ، والاله خلقه وهو مصنوع بشكل دائرى ، والكواكب السيارة السبعة الموجودة فيه لكل منها حركاته وتأثيره على العالم السفلى . وقبل وجودها لم يكن هناك ما يسمى بالوقت ، ولم يكن هناك ايام وليال وشهور وأعوام ويقول إن الأرض تخلق الليل والنهار دورانها ، ويخلق القمر الشهر ، وتخلق الشمس السنة [2].ومن ثم يمكن القول إن هذا الإله السامى لا يوصف ؛ الوحيد الذى لا وصف له [3].وثمة ملاحظة أخرى على جانب كبير من الأهمية هى السبب الاستدراكى الذى استخدمه سمبليكوس لكى يوضح مقترح أرسطو عن طبيعة الإله بمعنى استخدامه أسلوب ؛ إما ..... أو ... ، كما أنه يستخدم معانى غير محددة عندما يعرف طبيعة الإله [4]. ويعكس عدم يقين أرسطو بشأن الطبيعة الحقة للإله عدم اليقين العام الذى كان يسيطر على الصلوات أوالدعوات التى توجه إلى الإله ، ويكشف هذا اليقين أيضا عن شىء من الخوف أو الشك وإحساس بعدم التلاؤم فى عقل الشخص الذى إما يصلى للاله أو يتحدث عنه ، يبدو أن كل ذلك ينعكس فى تصريح أرسطو عن طبيعة الإله [5] .

وإذا كانت هذه هى القضية فإن ذلك قد يدفعنا إلى التخمين أن ما يؤكده أرسطو بأن الإله فوق ووراء الفكر البحت وكذلك فوق ووراء الوجود إنما هى آراء أفلاطونية أو بمعنى آخر أنه نوع من التلخيص لآراء أفلاطون اللاهوتية التى كان يؤيدها أرسطو وقت كتابة مؤلفة عن العبادة [6].

وقد انتقد شيشرون ما كتبه أرسطو فى كتابه الثالث فى الفلسفة بأنه كان يخلط بين الكثير من المفاهيم الفلسفية ، ولم يكن ذلك مخالفة لمذهب أستاذه أفلاطون ؛ فمرة يحصر الألوهية

---

[1] أفلاطون ، الجمهورية ، ص ١٢٤، ١٢٣، ٨٦ .

[2] أفلاطون ، تيماوس ، ضمن المحاورات الكاملة ، المجلد الخامس ، ص ٣٧٧-٣٨٠ .

[3] Chroust, Aristotle, II,p.16.

[4] Ibid., II,p.16.

[5] Ibid., II,p.16.

[6] Ibid., II,pP.16,17.

فىالفكر ومرةأخرى يقول إن الكون هو الاله ثم يعود بعد ذلك ليضع إلها آخر فوق الكون ويقوم هذا الإله بتنظيم حركة العالم[1] . ومن ثم فمن المحتمل أن يكون هذا الإله هو فوق الكون أن يتماثل مع الإله الذى ذكر فى محاورة عن العبادة بأنه فوق ووراء الفكر البحت وكذلك فوق ووراء الوجود العادى . وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن نظن أيضا أن أرسطو يتحدث هنا عن الفكر الربانى وربما عن جوهر هذا الفكر الربانى إلى هو فوق ووراء الفكر الربانى كما هو فوق ووراء الوجود كله [2]. وهكذا فإن مفهوم أرسطو عن الإله بأنه شىء فوق ووراء الفكر البحت والوجود يبدو أنه قد صار أحد القضايا الفلسفية الجوهرية ليس فقط فى الأفلاطونية الوسيطة والأفلاطونية الجديدة وبعض الكتاب الهيلينيين المتأخرين ولكن أيضا مع الكتاب المسيحيين المبكرين [3].

ويتبين فى هذه المحاورة رغبة أرسطوّ فى أن يظهر تصوره بأن الإنسان الفانى قد يتقرب إلى الاله بالروح فقط وأن يصلى إليه فقط بالفكر ومن خلال الفكر ، وهذا يتوافق مع الفكر الفلسفى اليونانى بأن المثال وحده يمكنه الاتصال بالمثل ، وأن الفكر الربانى البحت يمكن الوصول إليه فقط من خلال الحقيقة الفكرية أو الروحانية [4] أو كما جاء فى انجيل القديس يوحنا " الاله روح والذين يسجدون له ، فالروح والحق ينبغى أن يسجدوا " [5].

ومحاورة عن الصلاة مثال بليغ لمعتقدات أرسطو الدينية الأساسية وإعلانا لتقواه مما يتيح رؤية أعمق فقط فى أرسطو الفيلسوف ولكن أيضا فى أرسطو الإنسان .

[1] Cicero, XIX, De Natura Deorum Academica, P.35 .
[2] Chroust, Aristotle, II,P.17.
[3] Ibid., II,P.17.
[4] Ibid., II,P.17.

[5] انجيل القديس يوحنا ، الاصحاح الرابع ، أية ٢٤ .

حادى عشر : جريللوس أو فى الخطابة

Gryllus, Or Rhetorics

جريللوس – أو فى الخطابة Gryllus, or Rhetoric

يبدو أن هذه المحاورة كانت باكورة الأعمال الأدبية والفلسفية لأرسطو وقد ذكرها ديوجين لارتس تحت عنوان عن الخطابة أو جريللوس ولكن يبدو أنها اشتهرت أكثر تحت مسمى جريللوس ، ولم يبق من هذه المحاورة إلا شذرات قليلة فى مؤلفات ديوجين لارتس وكوينتليان Quintilian وقد نقلها كل من روس وكروست .

– ١ –

يقول أرسطو أن جمعا من الناس كتبوا خطب مدح وتأبين عن جريللوس أملا فى إسعاد والده[1].

– ٢ –

لنتطرق إذن للمسألة التى تلى ، ما إذا كانت الخطابة فنا . هذا ليس محل شك عند أولئك الذين قد سلموا بوجود قواعد للخطابة .. ويتفق مع هؤلاء معظم فلاسفة الرواقيين والمشائين .. وأنا من جانبى أعتقد أن هؤلاء الذين يجادلون لدحض هذا الرأى لم يقولوا الكثير عما يعتقدونه بالفعل مثل الرغبة فىاستخدام فطنتهم فى التعامل مع موضوع صعب .. أراد البعض أن تكون الخطابة موهبة طبيعية .. ويؤكدون أنه لا يمكن أن يتولد عن الفن شيئا قد وجد قبل أن يوجد الفن نفسه .. ذلك أن الشىء الذى يفعله الإنسان دون أن يتعلم كيف يفعله ليس له أى صلة بالفن ، فى حين أن الرجال الذين لم يتعلموا كيف يتحدثون ؛ يدلون بالأحاديث .. إن أرسطو وفقا لعادته ، ومن محبته المطلقة فى الاستفسار ؛ ابتكر فى محاورة جريللوس بعض المجادلات التى تظهر فطنته وذكاءه المعتادين . كما كتب أيضا ثلاثة كتب عن فن الخطابة ، يعلن فى الكتاب الأول منها أن الخطابة ليست مجرد فن؛ وخصص لها عنصر العلم السياسى بالإضافة إلى أحد عناصر الجدل [2].

---

[1] Diogenes Laertius, Lives Eminet of Philosophers, I,P.185.And See Also: Ross, The Works of Aristotle, XII, P.7.

[2] Ross, Op.Cit, XII, P.7.

إننا نصدق أرسطو بأن أيزوقراط كان أشهر تلاميذ جورجياس – على الرغم من عدم اتفاق المصادر الموثوق فيها فيمن كان معلما لأيزوقراط [1].

وواضح أن هذه المحاورة لها خلفية تاريخية واضحة ، فقد تعرضت اسبرطة للهجوم من الإيليين Elians، وقررت أثينا أن تخوض الحرب إلى جانب اسبرطة ، ومن ثم فقد أرسل أكسينوفون ولديه ديودوروس وجريللوس للمشاركة فى الحرب والدفاع عن اسبرطة . وعاد ديودوروس من الحرب سالما ، ولكن دون أن يحقق إنجازا متميزا ، بينما قتل جريللوس الذى شارك فى معركة مانتينيا Mantinea بجرأة وشجاعة إلى أن قتل فى المعركة . ويقال أن اكسنوفون من فرط حزنه قد خلع الإكليل عن رأسه عندما علم بوفاة ابنه . ولكن عندما علم أن جريللوس قد مات بصورة بطولية أعاد وضع الإكليل على رأسه . ولم يعد يذرف الدمع وقال إن ابنى ليس مخلدا [2]. وكان ذلك سببا أن يفد إليه كثير من أهل الفكر للتودد إليه ومواساته وتعزيته فى مصابه ومن أشهر هؤلاء الفيلسوف والخطيب أيزوقراط الذى كتب ثناء وتقريظا فى جريللوس [3].

إذن ما هى العلاقة بين عنوان هذا العمل جريللوس وموضوعه البلاغى ؟ يرى البعض أن أرسطو قد اختار جريللوس عنوانا ليخلد ذكرى أحد أصدقائه المقربين على نفس النمط الذى كتب به محاورة يديموس أو عن الروح . أو أنه اختار جريللوس ليكون المحاور الرئيسى فى هذه المحاورة. ولكن ليس هناك دليل على وجود صداقة بين أرسطو وجريللوس أو أن أرسطو قد أراد أن يخلد ذكرى جريللوس فى حوار خاص ؛ بل من المشكوك فيه أن يكون أحدهما يعرف الآخر [4]. إذن فهل كان أكسينوفون صديقا لأفلاطون مما دفع أرسطو إلى كتابة هذه المحاورة ؟ الحقيقة أن العلاقة بين أفلاطون واكسينوفون لم تكن طيبة بأى حال وكانت تتسم بالغيرة والتحاسد ، ولم يكن

---

[1] Ross,Op.Cit, XII, P.7.
[2] Diogenes Laertius, Lives Eminent of Philosophers, I,P.185 .
[3] Ibid., I,P.185 .
[4] Chroust, Aristotle, II, PP.30,31 .

أرسطو فى تلك الفترة سوى عضو فى الأكاديميةوتلميذا لأفلاطون ، ولاشك أنه قد شارك أفلاطون كراهيته لأكسينوفون [1].

ويرى البعض أن محاورة جريللوس عمل جدلى عنيف ليس ضد الخطابة بشكل مطلق ولكن ضد نوع معين من الخطابة ، كما أنه موجه ضد علماء الخطابة المشهورين ومدرسيها فى زمن أرسطو . وبملاحظة ما نسب قولُه إلى أرسطو بأن كل الأشخاص الذين كتبوا المديح والرثاء عن جريللوس إنما كتبوا ذلك لينالوا الحظوة عند والده ، أى أن ما حدث كان نوعا من التملق والنفاق من جانب علماء البلاغة الذين انغمسوا فىالمديح والتذلل وهكذا نجد أن أرسطو يصف الذين يسودون الخطب فى مديح جريللوس مداهنين ومتذللين ، ولذلك كان موقفه عدائيا تجاه هؤلاء العلماء الذين قللوا أو حطوا من قيمة الخطابة بهذا الأداء ، وأثاروا عدم رضا أرسطو ، وفى الوقت نفسه فإن هذه المحاورة تعد دفاعا عن الخطابة الأفلاطونية الصحيحة كما شرحها أفلاطون فى أعماله. فإذا تم القبول بهذه النتيجة ، أمكن القول إن محاورة جريللوس هى فى الأساس حوار أو جدل عنيف ضد بعض علماء الخطابة .وهذا بدوره يفسر العنوان المحير للعمل ، وأن هذ المحاورة لم تكتب لتخليد ذكرى جريللوس ولكنها كتبت فى نقد وعقاب علماء الخطابة الذين قدموا المديح والتزلف . ومن ثم صار هناك مبرر لهجوم أرسطو على هؤلاء الكتاب ونوعية الأسلوب الذى يستخدمونه فى خطبهم . وهذا هو الاستنتاج الوحيد الذى يمكن قبوله لتحديد العلاقة بين جريللوس والبلاغة أى بين العنوان والموضوع . ومع ذلك يرى البعض أن فى هذه المحاورة تضادا خطيرا لأنه بينما تحمل المحاورة مدحا لجريللوس إذ بها تدين المادحين ، أى أن أرسطو عند كتابة هذه المحاورة لم يكن مدفوعا بإعجابه الشخصى بجريللوس ولكنه كان مدفوعا بعدم استحسان سلوك عدد كبير من المادحين وخاصة أيزوقراط [2]. ولذلك فقد رد أيزوقراط على هذه الاتهامات فى محاورة انتيدوسيس ، كما انبرى تلاميذه للرد على أرسطو وخاصة سيفسودوروس فى محاورة أسماها ضد أرسطو .

---

[1] Chroust, Aristotle, II, n.35,P.301.
[2] Ibid., II, P.33 .

النقطة الجوهرية الأخرى فى هذه المحاورة أن أرسطو يصر على أن البلاغة ليست فنا وذلك استنادا إلى أقوال أرسطو التى نقلها كروست عن كوينتليان بأن : كل الفنون لها موضوع خاص بها .... بينما البلاغة لا موضوع لها . وأنه لا يوجد فن يتقبل آراء خاطئة ، لأن الفن الحقيقى يتأسس على الإدراك الفعلى ، .. بينما تمنح البلاغة موافقتها على نتائج زائفة ، وأن كل فن له غاية مؤكدة ومناسبة تتوجه نحوها جهوده ، بينما البلاغة لا هدف لها ، حتى فى الأوقات التى تزعم أن لها هدفا فإنها لا تعمل على تحقيق هذا الهدف . وأنه يتم التعرف على الفنون عندما تتحقق أهدافها فى حين أن البلاغة لا يتم التعرف عليها لأنها تقوم بأشياء لا تفعلها الفنون الأخرى مثل استخدام الرذيلة للوصول إلى الأهداف وإثارة المشاعر ، وبأنه ليس هناك فن حقيقى متناقض مع نفسه ولكن البلاغة تناقض نفسها ، كما أنه لا يوجد فن حقيقى يهدم ما يبنيه ولكن هذا يحدث فى البلاغة وذلك لأنهم فى مدرسة البلاغة يعلمون أن البلاغة تعلّم ما يجب أن يقال وما لا يجب أن يقال ، فهى إذن ليست فنا لأنها تعلم مالا يجب قوله أو لأنها أثناء تعليمها لما يجب قوله تعلم عكسه[1].

ويبدو أن هذه المرة الأولى التى يظهر فيها أرسطو ويعلن عن نفسه على مسرح الحياة الفكرية عندما نهض لمواجهة أيزوقراط ومعارضة أفكاره التعليمية والفلسفية . إن الهجوم الذى شنه أرسطو الصغير ضد أيزوقراط ومدرسته يكشف أنه كان لايزال متمسكا بالمثل الفكرية التى دعا إليها أستاذه أفلاطون ، واقتناعه كتلميذ مخلص لأفلاطون بأن المثل فى الحياة النظرية الأفلاطونية تفوق آراء أيزوقراط الثقافية والفكرية .[2]

وتقديرا من الأستاذ لتلميذه تم السماح لأرسطو بإلقاء محاضرات عن البلاغة فى الأكاديمية، هذا الشرف الذى ناله يعود فى الأساس إلى مؤهلاته العلمية وأهليته للتدريس كما يعود فى المقام

---

[1] Chroust, Aristotle, II,P.36 .
[2] Ibid., II,P.41.

الأول إلى ولائه للأكاديمية ودفاعه عنها ضد أيزوقراط المكروه من الأكاديمية وغير المحبوب من أفلاطون [1].

إذا كانت هذ المحاورة هى أول أعمال أرسطو التى كتبها أثناء إقامته فى الأكاديمية ، فإنه يبدو أن أرسطو قد كتبها كمحاورة تعليمية يحاول فيها أن يقلد أستاذه ؛ لأنه فى هذه المحاورة لم يكن متأثرا بالشكل العام للمحاورة الأفلاطونية أو طريقة الحوار فحسب ، ولكن الشذرات الباقية من المحاورة تؤكد أنه قد اقتبس الفكرة والموضوع من محاورة جورجياس التى عنى فيها بالرد على أهل البلاغة الذين قرروا أن البيان هو أحد الفنون التى تستخدم الكلام وحده لتحقيق وإنجاز مهمتها[2]. وأن من يعمل بهذا الفن يكون خطيبا [3]. ويتهم الخطباء والسوفسطائيين بالمراوغة واستغلال قدراتهم سواء كانت عن حق أو باطل فى الانتصار على مخالفيهم . وبين قدرات الخطيب بأنه قادر على أن يتكلم ضد أى خصم وفى كل موضوع على نحو يقنع الجمهور إقناعا أفضل من غيره ، وبحيث ينال من الجمهوز بكلمة كل ما يريد [4]، والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن الخطيب حتى فيما يمس الصحة أكثر إقناعا من الطبيب [5]. وبالتأكيد سيكون للخطيب والبيان نفس القدرة تجاه الفنون الأخرى لأن البيان لا يحتاج إلى معرفة الحقائق عن الأشياء وحسبه أن يخترع طريقة ما للإقناع يظهر بها أمام الجهلة أكثر علما من العلماء . ولذلك فإنه عندما يتحدث جاهل أمام جهلة فهو الذى يتغلب على العالم ؛ حينئذ ينتصر الخطيب على الطبيب [6].

ويقول أفلاطون رأيه على لسان سقراط بأنه لا يعتبر البيان فنا مطلقا فيقول : إن البيان كما يلوح لى مزاولة عملية غريبة عن الفن ولكنه يتطلب نفسا ذات خيال وجرأة ، وقدرة بالطبع على

---

[1] Chroust,Op.Cit, II,P.42.

[2] أفلاطون ، محاورة جورجياس ، ترجمة محمد حسن ظاظا ،مراجعة د. على سامى النشار ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٠، ص ٣٩ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

[4] المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

[5] المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

[6] المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

الاتصال بالناس ، وأرى أن الاسم النوعى لهذا النوع من المزاولة العملية هو التملق [1].والتملق من وجهة نظر سقراط قبيح لأنه يسمى كل ما هو ردىء قبيحا [2]. وفى النهاية يخلص سقراط إلى القول إن الخطباء وإن أجادوا فإنهم محتقرون وغير محترمين [3].

النقطة الأخيرة التى ذكرت عن أرسطو قوله إن أيزوقراط كان أشهر تلاميذ جورجياس . إننا إذا تناولنا النص بشكل مباشر على أن أيزوقراط قد تتلمذ على جورجياس وأنه كان أفضل تلاميذه فإن هذا المعنى لا يتفق مع ما ذكره أفلاطون فى محاورة بروتاجوراس بأن أنديموريوس (المنداوى) هو أشهر تلامذة بروتاجوراس [4] ولم يشر أفلاطون مطلقا إلى أيزوقراط على أنه من تلاميذه ، أما إذا كان المعنى إن أيزوقراط هو أمهر الخطباء والسوفسطائيين فى عصره مثلما كان بروتاجوراس من قبل فإن هذا المعنى قد يلقى بعض القبول .

---

[1] أفلاطون ، محاورة جورجياس ، ص ٥٤،٥٥ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

[4] أفلاطون ، فى السوفسطائيين والنربية ، محاورة بروتاجوراس ، ص ٧٤ .

ثانى عشر : رجل الدولة

Statesmanor Politicus

رجل الدولة Statesmanor Politicus

هذه المحاورة كتبها أرسطو فى كتابين ولم يبق منها إلا خمس شذرات أهمها الشذرة الثانية التى حفظها كل من سنكا ، وشيشرون . وقدم روس لهذه الشذرات باقتباس من شيشرون .

لقد درَّس كل من أرسطو وثيوفراستس الصفات التى يجب أن يتحلى بها الحاكم فى أىدولة[1].

- ١ -

عندما كانت تقرأ علىَّ هذه الكتب فى منزلى بتوسكلان بحضور سالوست Sallust ، نصحنى بأن هناك أقوالا أكثر مصداقية يمكن أن تقال عن هذه الأمور ، إذا كنت سأتحدث بنفسى عن الدولة ؛ خاصة وأننى لم أكن فى منزلة هيراكليدس بونتيكوس [2] ولكنى أحمل رتبة قنصلية وخبير فى الشئون الهامة للدولة . وقد يبدو أن ما سأقوله عن تلك السلطات القديمة ضربا من الخيال ... وأخيرا أشار إلى أن أرسطو قد قال بالنيابة عنه ماكان يجب عليه أن يقوله عن الدولة [3].

-٢ -

على أية حال يقول أرسطو بوضوح فى الكتاب الثانى من عمله عن رجل الدولة ... الخير هو المعيار الدقيق لكل شىء [4].

- ٣ -

---

[1] Ross, The Worlds of Aristotle, XII,P.68. And See Also : Cicero,XVII,Finibus,P.403.

جايوس سالوست (٨٦-٣٥ ق.م) سياسى رومانى حارب فى صفوف يوليوس قيصر وتولى منصب نائب بور فى سنة ٤٧ ق.م .

See : The Oxford Classical Dictionary P.947 .

[2] هيراكليدس بونتيكوس ، فيلسوف أكاديمى ، تتلمذ على كل من أفلاطون وأرسطو ، كتب كثير من المحاورات فى السياسة والتاريخ والأدب والطبيعة .

Diogenes Laertius, Lives of Eminent Philosophers, I,PP.539-543 ; The Oxford Classical Dictionary , P.500.

[3] Ross, Op.Cit,P.68.

[4] Ibid.,P.68.

إن تعريف أرسطو لا يختلف كثيرا عن تعريفنا ، فهو يقول إن الغضب هو الرغبة فى رد الألم[1].

يقول أرسطو إن الغضب ضرورى ، ولا يمكن الانتصار فى أية معركة بدونه – إذا لم يملأ العقل ويشعل الروح . ولكن علينا ألا نعامله كقائد ولكن كجندى [2].

يقول أرسطو إن بعض الانفعالات تعمل كأسلحة إذا استخدمناها استخداما سليما [3].

ولكن كما قلت فى كتب سابقة يقف أرسطو كمدافع عن الغضب ويمنع طرده من طبيعتنا.ويقول إنه المحفز للفضيلة وإذا تم انتزاعه منا يصير العقل بلا سلاح ، وبليد جدا وغير قادر على القيام بالمحاولات العظيمة ... لا يوجد حينئذ أى سبب لاعتقادك أننى أبدد الوقت فى أمور عديمة الجدوى ، وأن الغضب يجلب الخزى كما لو كان شيئا سيىء الذِّكر بين الرجال ، وعندما يوجد شخص ما ، فيلسوف شهير بطبيعة الحال بتعيين وظائف محددة له ، ويستشهد به على أنه مفيد ويشحذ الهمم للمعارك والحياة النشطة وكل شىء يتطلب قدرا من الحمية [4].

هل نستدعى الغضب لمساعدتنا ؟ لقد كان مفيدا فى الغالب ، إنه يرفع الروح ويحفزها ؛ والشجاعة لا تؤدى شيئا رائعا فىالحرب بدونه – لا تؤدى شيئا ما لم يتم تأججها بالغضب ؛ إلا إذا أدخل الغضب الرجال فى حال الجسارة فى مواجهة الخطر . ومع ذلك يعتقد البعض أنه من الأفضل أن نلطف الغضب ، لا أن نستأصله ، أن نخفضه إلى نسب صحيحة وذلك باستبعاد القدر الزائد ، وأن نبقى على القدر الذى بدونه يتلاشى الفعل وتسترخى قوة العقل وحماسته [5].

ماذا سنقول عن آراء المشائين بأن تلك الاضطرابات التى نعتقد أنه يجب علينا استئصالها هى اضطرابات طبيعية بل إنها هبة مفيدة من الطبيعة ؟ هذا ما يقولونه : أولا يقولون الكثير فى

---

[1] Seneca, Moral Essays, translated by John W.Basore,Harvard University Press, London, 1994, p.115.
[2] Ibid.,P.129.
[3] Ibid.,P.151.
[4] Ibid.,P.259.
[5] Ibid.,P.123 .

مديح الغضب ، فهم يطلقون عليه اسم مشحذ الشجاعة ويقولون إن رد فعل الإنسان الغاضب يكون أكثر حماسة إذا ما كان ضد عدو ما أو مواطن سيىء . إنهم يلقون الضوء على الاستدلالات والبراهين التافهة لأولئك الذين أفكارهم الشكل التالى :

من الصائب خوض هذه المعركة ؛ من المناسب أن تقاتل من أجل القانون وفى سبيل الحرية ومن أجل الوطن . هذه الأفكار كما يقولون ليس لها قوة مالم يتم إثارة الشجاعة فى انفعال متوهج عن طريق الغضب . إنهم لا يجادلون فقط عن الجنود فى المعركة ، إنهم يحسبون أنه لا يمكن وجود نظام دقيق بدون بعض مرارة الغضب [1]. أخيرا إنهم يفكرون قليلا فى متحدث إذا لم يكن فى دفاعه كما فى هجومه يشعر بلسع الغضب . حتى إذا لم يكن الغضب موجودا ، فإنهم يعتقدون أنه يجب تصنعه بالقول والإشارة ذلك أن أسلوب المتحدث قد يؤججه غضب المستمع . باختصار يقولون إن أى شخص لا يعرف كيف يغضب لا يعدونه بين الرجال [2]. وأن ما نسميه معتدل ينعتونه بالأسماء الشائنة بليد أو خامل . وفى واقع الأمر ليست فقط هذه الرغبة الملحة التى يمتدحونها – ذلك لأن الغضب كما قد عرفته توا هو شهوة الانتقام – يقولون إن الشهوة أو الرغبة بصفة عامة عبارة عن هبة فى غاية الفائدة وهبتها الطبيعة طالما أنه لا يستطيع أى فرد أن يفعل بتفوق ما لا يرغب فى فعله [3] .... يقولون إن الألم ذاته .. قد أوجدته الطبيعة لهدف فى غاية الفائدة . حتى يشعر الرجال بمعاناة العقاب على سوء أفعالهم بالخزى واللوم . أما هؤلاء الذين يتحملون دون ألم أو خزى أو عار والذين يبدو أنهم قد منحوا حصانة لآثامهم ؛ فمن الأفضل أن يعانوا وخز الضمير [4]... يقولون إن أنواع الألم الأخرى لها أيضا فوائدها ؛ فالشفقة تجعل الرجال يقدمون المساعدة للآخرين والتخفيف عن الذين لا يستحقون المعاناة ، حتى الحقد والغيرة لهما استخداماتهما ويقولون إن الذى يشعر بهما إما لأنه لم يجن نفس المكاسب التى جناها الآخر ، أو لأن الآخر قد حقق نفس المكاسب التى حققها لنفسه . إذا قام أحد باستخراج الخوف منا فإنه سيأخذ معه كل الاجتهاد والمثابرة وهما

---

[1] Cicero,XVIII,Tusculan, P.373 .
[2] Ibid.PP.373,375 .
[3] Ibid.,P.375 .
[4] Ibid.,P.375 .

أعظم شيء في أولئك الذين يخشون القوانين والسلطات القضائية والفقر والخزى والموت والألم . ويعلنون في مناقشاتهم أنه يجب تهذيب الرغبات ويقولون إنه ليس في احتياجهم ولا بوسعهم استئصاله كلية ، وأنه في كل الأشياء أن خير الأمور الوسط [1].

على الأقل يقول بعض المشائين كما أوضحنا من قبل بالإشارة إلى الأفراد ، يقول إن هؤلاء الذين أزالوا الغضب والانفعال انما يستأصلون فعليا قوى الروح ؛ لأنه بدون هذه الأشياء لن يكون هناك عقاب ولا انتقام ... إن الرجال لن يشاركوا في الحروب بدون غضب ، وهو الذى يجعلهم جسورين ويبعد التراجع والجبن ويجعل الرجال ثابتين حتى أمام الموت . ولذلك أيضا فإن الغضب يخلق روح الانتقام من الأعداء وأن وجود هذه الروح يعد وجودا نبيلا وعادلا ومفيدا ، له مزاياه الخاصة والعامة فضلاً عن أنه شيء ممتع [2].

-٤-

أرنب برى يظهر نفسه بين كلاب الصيد لا يستطيع الهرب (يقول أرسطو) ولا يستطيع أن يحيا بين الرجال مخزيا ومحقرا [3].

-٥-

من هذه الحقائق يقولون : يستتبع ذلك أن الرجال الحكماء (كما يقول أرسطو) لا يمكن خداعهم أو أن يخطئوا ، ويفعلوا كل الأشياء بشكل جيد [4].

وهذه المحاورة من المحاورات التي كتبها أرسطو على مسمى محاورة لأفلاطون ، ويقال إن أرسطو قد لعب فيها دور المخاور الرئيسى ، ويناقش فيها المؤهلات والمواصفات التى يجب أن يتحلى بها رجل الدولة المثالى أو بمعنى أدق رئيس الدولة وبمصطلح أفلاطون الملك الفيلسوف . والسؤال الذى طرح نفسه عدة مرات عندما يناقش المحاورات التى اختار لها أرسطو نفس مسميات

---

[1] Cicero,Op.Cit,P.377:
[2] Ross, the Works of Aristotle, XII,PP.70,71.
[3] Ibid.,XII,P.71.
[4] Ibid.,XII,P.71.

محاورات أفلاطونية بعينها مثل محاورة أرسطو رجل الدولة التى كتبها على غرار محاورة أفلاطون رجل الدولة أو السياسى . فهل كان ذلك نابعا من شدة إعجابه بمعلمه ورغبة منه فى تقليده أم أنه كان يقصد معالجة بعض الموضوعات التى عالجها أفلاطون ليظهر تفوقه على أستاذه أو دحض بعض آرائه إن حسن الظن يفترض أن أرسطو كان يحاول تقليد أستاذه بدلا من منافسته أو هزيمته[1].

ومع أنه يصعب تأريخ كتابة أرسطو لمحاورة رجل الدولة إلا أنه من الواضح أنه ألفها بعد صدور محاورة السياسى لأفلاطون . وأن أهم ما جاء فى محاورة أرسطو هى عبارة " الخير أدق معيار أو قياس لكل الأشياء " . وهذا يوضح أنه فى الوقت الذى كتب فيه أرسطو هذه المحاورة ربما كان قد تخلى عن نظرية المثل المستقلة (عن الخير) لأفلاطون [2] ولكن وفقا لشهادة الأفلاطونى الجديد سيريانوس في الشذرة التى اقتبسها من الكتاب الثانى لمحاورة عن العدالة التى يقول فيها أن الخير هوالمقياس الدقيق فقد فسرها بأن أرسطو فى هذه المحاورة كان لا يزال يفهم أفلاطون والفلسفة الأفلاطونية وأنه كان يفهمها أكثر مما أظهره فى أية مناسبة أخرى . ومن ذلك يمكن استنتاج أن أرسطو كان يعنى القول بما أن مثال الخير هو الأكثر رفعة وسموا بين كل المثل فإنه أيضا القياس الدقيق بين كل المقاييس وأن أرسطو عند تأليف محاورة رجل الدولة كان أكثر فهما واقتناعا بفلسفة أفلاطون [3].

وهكذا تظهر محاورة رجل الدولة أن مثال الخير هو الأكثر دقة من كل المقاييس فى الأخلاق والسياسة ومن العدل أن نفترض أن هذا العمل المبكر لأرسطو مازال تحت تأثير نظرية المثل لأفلاطون . وهذه النظرية تؤكد علىأهمية المعايير القياسية ، ومن جهة أخرى تؤكد على إخلاص أرسطو لأستاذه ونظريته عن الأعداد النموذجية والمثل المستقلة وفكرة الواحد [4]. ويعلق ييجر بأن أفلاطون فى سنواته الأخيرة قد حاول فى محاورة فيليبوس أن يجعل من الأخلاق علما قائما بذاته

---

[1] Chroust,Aristotle,II,PP.134,135.
[2] Ibid,P.135.
[3] Ibid,P.135.
[4] Ibid,pp.137,138.

مبنيا على أسس رياضية . وفى هذه المحاورة يكرر أفلاطون ذكر فكرة القياس على أنها العلامة المحددة للمرحلة الرياضية لنظرية المثل وهكذا يثبت أن كل قيمة جيدة هى قيمة محددة ويمكن قياسها بينما كل قيمة شريرة فهى غير محددة ولا يمكن حسابها سواء فى الكون أوالروح . وبالتالى يمكن اعتبار نظريات أفلاطون الأخيرة سواء عن السياسة أو الأخلاق بأنها مجرد علم نظرى عن القياس [1]. وقد كتب أرسطو فى الكتاب الثانى من محاورة رجل الدولة أن الخير هو أدق مقياس واستنادا على هذه المقولة يدعى سيريانوس الأفلاطونى بأن أرسطو كان أكثر من استطاع الوصول إلى حقيقة فلسفة أفلاطون فى هذا الوقت . ولقد قصد أرسطو نفس المعنى المطروح فى كتابه بروتربتكيوس عندما كان ينشد الدقة ، ووصف السياسة بأنها علم ذو قياسات مطلقة[2]. وهذه فلسفة فيليبوس التى تعطى المكانة الأولى فى سلم الخيرات للمقياس والثانية للمقياس والثالثة للملائم[3]. وثمة وجهة نظر أخرى ترى أنه من الأفضل أن نترجم الفقرة المعنية علىالنحو التالى " لكل شىء الخير هو القياس الدقيق " وبهذا يتضح أن أرسطو لم يكن مهتما بافتراض أن الدقة المتناهية تصنع الخير " الخير الأسمى " بين أشكال الخير وبالتالى فإنه أدق قياس بين كل القياسات وأن كل ما كان يود أرسطو التعبير عنه هو الخير الأخلاقى وليست المثل المستقلة[4] .

وهكذا فإن الخير الذى يتحدث عنه أرسطو فى محاورة رجل الدولة ليس بالطبع هو الخير الذى يتحدث عنه أفلاطون ، ولكنه الهدف الأخلاقى المتمثل فىالخير بالمفهوم الواقعى والمحسوس للفعل الإنسانى . وهذا الخير يمكن أن يحدده العقل الإنسانى والخبرة الإنسانية . ومن ثم فإن المعيار النهائى سيكون الخير القابل للتعريف أوالهدف الموجه الذى يخلقه الفعل الإنسانى بدلا من الخير الأسمى أومثال الخير ، الواحد الذى لا يتغير [5].

---

[1] Jaeger,Aristotle,P.87.
[2] Ibid., p.87 .

[3] أفلاطون ، فيليبوس ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

[4] Chroust,Op.Cit,P.138.
[5] Ibid., P.139.

وإذا كان ذلك صحيحا فلا يوجد تعارض مذهبى بين الرؤية الأخلاقية فى محاورة رجل الدولة والنظريات الأخلاقية فى أبحاث أرسطو الأخيرة عن الأخلاق مثل الأخلاق النيقوماخية حيث يقدر أن الفضيلة والإنسان الطيب هما معيار أى شىء كما يظن ، ويكون الخير بأنه خير ، واللذة التى تظهر لهذا أنها كذلك ، وتكون لذيذة التى يفرح هذا بها [1].

وهكذا فإنه يمكن قبول وجهة النظر المعارضة لييجر وفقا لما جاء فى الأبحاث الأخيرة فى الأخلاق بأن الفضيلة والخير الأخلاقى (أو الإنسان الطيب) هما مقياس أو معيار كل شىء على حدة ولكل فعل على حده [2].

إن اختلاف تفسير مقولة أرسطو بأن الخير هو القياس الدقيق بين كل القياسات أو أن الخير هو القياس الدقيق لكل شىء يبدو مرتبطا بملاحظات أفلاطون على آراء بروتاجوراس القائلة بأن الإنسان هو مقياس كل شىء [3]. فيقرر أفلاطون أن الاله وحده هو مقياس كل الأشياء وليس الإنسان[4]، ولما كان الإنسان عزيز عند الاله فإنه يجب أن يكون مثل الاله [5]. ولكنها ليست فكرة الخير كما شرحها بعد ذلك فى فيليبوس وفى الجمهورية بقوله : إن مثال الخير هو أرفع موضوع للمعرفة ومنه يستمد كل شىء يتصف بالخير والحق قيمته بالنسبة إلينا [6].

ومن ثم فإنه فى وسعنا أن نضع مقولة أرسطو فى مكان وسط بين فكرة الخير الموجودة فى الجمهورية وفى فيليبوس وفكرة الاله فى القوانين ، كما يمكن القول أيضا إن عبارة أرسطو فى محاورة رجل الدولة ربما تكون محاولة من جانب أرسطو للتوفيق بين هاتين الفكرتين[7] .

---

[1] Aristotle, Nicomachean ethics, P.430.

[2] Chroust,Op.Cit,P.140 .

[3] أفلاطون ، ثياتيتوس أو عن العلم ، ترجمة أميرة حلمى مطر ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٤٦ . .

[4] أفلاطون ، القوانين ، ص ٢٢٥ .

[5] نفس المصدر ، ص ٢٢٥ .

[6] أفلاطون ، الجمهورية ، ص ٤٠٧.

[7] Chroust,Op.Cit,P.140.

الموضوع الثانى فى المحاورة هو الغضب وفوائده وقد ذكرها أرسطو بأنها الرغبة فى رد الألم وبأنه يشعل الروح ويحفزها ويدخل الرجال فى حالة من الشجاعة والجسارة ، وأن الغضب سلاح للعقل ومحفز للفضيلة ومن ثم فقد وقف أرسطو مدافعاً عن الغضب ونادى بعدم طرده أو استئصاله من الطبيعة البشرية ولكن يمكن فقط تهذيبه وتلطيفه إلىالقدر المناسب . ويرى أفلاطون أن الغضب مع الشجاعة يسكنان الجزء الردىء من النفس الفانية حتى يكون الغضب مصغيا للعقل ويشترك معه فى قمع جنس الرغبات بالعنف عندما لا يريد طائعا أن ينقاد للعقل . وعندما يعطى العقل إنذار بأن أحد أعضاء الجسم يتعرض للأذى من الخارج أو من قبل إحدى الشهوات فىالداخل تتأجج روح الغضب ويفور هيجانها [1]، ويبدو أرسطو متأثرا بآراء أفلاطون فى الغضب حيث يتفق معه بأن رعاية النفس فى جزئها الغضبى يؤدى تنمية صفات الشجاعة والإقدام فى الفرد [2].

وقد يكون من الأوفق أن نعرض لآراء أرسطو فى الغضب وهى الآراء التى يتضمنها كتابه الأخلاق النيقوماخية ، مع الأخذ فى الاعتبار أن ما ذكره أرسطو فى كتاب الأخلاق هو الفكر المتطور والناضج لأرسطو فقد يكون مغايرا لما ذكره فىالمحاورات على أساس أن أرسطو فى كتاباته المذهبية أو فى كتبه المستورة كان قد وصل إلى مرحلة النضج الفكرى . ويصف أرسطو الشخص الذى يغضب بأنه يحزن من النجاحات غير المستحقة للآخرين كما يحزن أيضا من المصائب غير المستحقة التى تقع على الآخرين [3]. وقد ينسب الغضب إلى الشجاعة وذلك لاعتقاد البعض بأن الذى يفعل شيئا للمغضب هو شجاع بمنزلة السباع التى تثب على من يغضبها ، ولأن الشجاع أيضا غضوب وأنه يفعل ما يفعله للجميل أو من أجل الشرف والكرامة والغضب يعينه على فعله [4]. ولكن على الرغم من أن الشجاعة المتولدة عن الألم فى أعلى درجاته الطبيعية فإن الألم أو ثورة الغضب لا تعرف الهزيمة وبسببه فإن الشباب هم أفضل المقاتلين [5] . والناس إذا غضبوا استشعروا الألم

---

[1] أفلاطون: تيماوس ، ترجمة فؤاد حرجى بربارة ، تحقيق وتقديم البير ريفو ، منشورات وزارة الثقافة،دمشق ١٩٦٨ ، ص ١٨١-٣٩١ .

[2] أفلاطون ، الجمهورية ، ص ١٣٠ .

[3] Aristotle, Nicomachean Ethics, P.354.

[4] Aristotle, Op.Cit,P.363; Eudemiam Ethics, P.317.

[5] Aristotle, Op.Cit, P.317.

ومع ذلك فالألم يحتوى على نوع من المتعة لأنه ممتزج مع الأمل فىالانتقام ، وإذا انتقموا أحسوا باللذة [1].

ويصف أرسطو حالة الإنسان عندما يتملكه الغضب بأنها حالة رديئة خاصة إذا كان الغضب شديدا أو ضعيفا أما إذا غضبنا غضبا متوسطا كانت الحالة جيدة . ومن ثم فإنه يوجد فى الغضب زيادة ونقصان وتوسط ، فأما المتوسط فيسمى حكيما وأما من يغضب غضبا زائدا سمى غضوبا ومن كان غضبه ناقصا سمى غير غضوب [2]. وأنه لا توجد معايير معينة لقياس الحد الذى ينبغى أن نغضب فيه وعلى من نغضب وفى أى الأشياء وبأى مقدار من الزمان لأننا ربما نمتدح من قل غضبه وسميناه حليما وربما امتدحنا من اشتد فى غضبه وسميناه فحلا ، ومن ثم فإنه يصعب أن نحدد بالقول الأمر أو المقدار الذى إذا صار إليه الإنسان من ذلك كان مذموما ، وهذا يدل على أن الحال المتوسطة محمودة فى كل شىء [3]. ثم يوضح أرسطو الأمور بشكل أكثر تفصيلا فيقول : فالذى يغضب على من يجب أن تغضب عليه ومن الأشياء التى توجب الغضب ، وكما ينبغى ، وفى الوقت الذى ينبغى وبالمقدار الذى ينبغى قد نحمده . وخليق أيضا أن يكون هذا هو الحليم إذا كان الحليم يحمد ، وذلك أن من شأن الحليم أن يكون ركينا غير منقاد للغضب .. لأن الحليم ليس هو محب للانتقام ولكنه باسط للعذر [4].

فأما النقصان – كان من عدم الغضب أو أى شىء كان – فهو يذم وذلك أن الذين لا يغضبون على من ينبغى أن يغضب عليه قد يظن بهم أنهم لا يحسون ولا يتأذون . وإذا لم يغضب لم يكن منتقما . والصبر على سماع الشتيمة وترك الغضب من أخلاق العبيد [5].

---

[1] Aristotle, Eudemian Ethics, P.421; Nicomachean Ethics, P.363.
[2] Aristotle, Nicomachean Ethics, PP.351,353 .
[3] Ibid.,pp.355.
[4] Ibid.,Pp.372,373.
[5] Ibid.,P.373.

والزيادة قد تكون فى هذه الأشياء كلها ، فالغضوب قد يسرع إليه الغضب ممـا لا ينبغـى ، على من لا ينبغى وأكثر مما ينبغى .. والذين يزيدون على هؤلاء هم السريعو الغضـب المحتـدون الذين يغضبون من كل شىء وفى كل شىء [1].

والخلاصة أنه ليس من السهل أن نحدد كيف ينبغى أن يكون الغضب ، وعلـى مـن ، ولأى شىء ، وكم يكون زمانه ؟ وإلى حد من الغضب ينبغى أن يغضب حتى يكون قد أصاب فى غضبه أو أخطأ ولكن قد يمكننا القول : إن الحال المتوسطة التى بها يحدث الغضب على من يجـب ، وكـم مقدار ما ينبغى أن يكون وسائر ما أشبه ذلك محمود والزيادات والنقصانات مذمومة [2].

---

[1] Aristotle, Nicomachean Ethics,P.373.
[2] Aristotle, Op.Cit,p.373 .